التربية النبوية للأولاد
وسُبُل الإفادة منهَا

إعداد
د/ عادل عبد الله صبره هندي
المدرس في قسم الثقافة الإسلامية
بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة جامعة الأزهر

مستخلص البحث باللغة العربية

عادل عبدالله صبره هندي

مدرس بقسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية

البريد الجامعي: AdelHendy١٣٣@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

تعدّ التربية هي الرُّكن الركين لبناء شخصية الإنسان، وإذا كانت التربية بصفة عامة من المسؤوليات المهمّة فإنها في مرحلة الطفولة أهم وأشدّ؛ خصوصًا مع كثرة مشكلات التربية وشكاوَى المربين في العصر الحالي.

ومع حيرة الكثيرين في البحث عن منهج شامل وواقعي في التربية يأتي هذا البحث الموسوم بـ (التربية النبوية للأولاد وسبُل الإفادة منها)؛ ليركّز على معالم المنهج النبوي في التربية للأولاد، وذلك لأنّ منهج النبيّ المرَبّي صلى الله عليه وسلّم هو أشمل وأرقى وأكمل وأنقى منهج عمليّ عرفته الدنيا. **ويحتوي البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.**

ويُظهر البحث أهم المزايا التي اتسم بها الهدْي النبويّ في التربية، وصفات المُرَبّي الناجح من خلال الهدي التربوي للنبي صلى الله عليه وسلّم، مع استعراض أهم الوسائل والأساليب التربوية للمنهج النبويّ، وختامًا يأتي بيان سُبُل الإفادة المعاصرة من الهدْي التربوي لسيدنا رسول الله ﷺ. وقد استخدم الباحث من المناهج العلمية (المنهج الاستقرائي، الوصفي، التحليلي).

ويهدف البحث إلى: تزويد المربين ببعض المعارف والوسائل التطبيقية في علاج مشكلات الأبناء واحتوائهم، والتسويق الإيجابي للمنهج النبويّ بين الآخرين؛ رغبةً في تقليل حدّة التوتّر اللاحق بالحياة الأسرية في زماننا.

ومما خلُص إليه البحث: أنّ المنهج التربوي للنبيّ –صلى الله عليه وسلّم– يتضمّن جملة من المبادئ والأصول العملية واليسيرة في عملية التربية، فضلا عن أنّ الوسائل النبوية في التربية هي عملية تطبيقية متكاملة، تسهم بشكل كبير في بناء جيل متميز من الأبناء والبنات، ويصي البحث بتوجيه جهود المختصين نحو البحث والدراسة في منهج النبوة الرشيدة؛ رغبةً في تكوين نظرية إسلامية متكاملة في التربية الناجحة.

الكلمات المفتاحية:

التربية، الأولاد، الأطفال، التربية النبوية، الأبناء والبنات، مشكلات التربية، أصول التربية، الوسائل التربوية.

❁❁❁

The Summary of the Research

The prophetic education for children And

Methods of contemporary benefiting

Adel Abdullah Sabra Hindi

Lecturer, Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Call, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

Email: AdelHendy١٣٣@azhar.edu.eg

Research Summary:

Education is the cornerstone of building a human being, if education, in general, is an important responsibility, it considers in childhood the most important and severe, especially with the many problems of education and the complaints of educators in the current era.

With much confusion for the search for a comprehensive and realistic educational curriculum, this research focuses on milestones of the prophetic curriculum for child-rearing, Because the approach of the educator Prophet (may Allah bless him and grant him peace) is a more comprehensive, finest, most complete, and purest, practical approach in life.

The research contains an introduction, a preface, four chapters, and a conclusion.

This research clarifies the most important advantages of the prophetic guidance in education, the characteristics of a successful educator Through the educational guidance of the Prophet) Peace be upon him) and the presentation of the most important pedagogical methods of the prophetic approach. Finally, the research clarified the ways of contemporary benefit from the educational guidance of the Prophet.

The researcher used the scientific method such as; (the inductive, descriptive, and analytical).

The research aims to provide educators with some applied knowledge and methods in treating and containing children's problems and positive marketing of the prophetic approach amongst others in a desire to reduce the degree of tension in family life in our time.

Research concluded that: the educational curriculum of the Prophet includes a set of practical and easy pedagogical principles, in addition, the Prophet's means of education are an integrated application process that contributes greatly to make a distinguished generation of sons and daughters, the research recommends directing the efforts of specialists towards research and study in the approach to prophet hood, to form an integrated Islamic theory of successful education.

Key words

Education, children, kids, prophetic education, sons and daughters, Education problems, Principles of education, Educational methods**.**

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمـــــة

الحمـــد لله رب العـــالمين، القائـــل:﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلقد وصل الإنسان في زماننا إلى مدارك عالية من العلوم والمعارف والتقدّم التكنولوجي، حتى إنه صعد إلى القمر، وغاص في أعماق البحار، وفي كل يوم يحاول الكشف عن حقائق ما خلقه الله ﷻ وأَوْجَدَه في هذا الكون.. وسيظل الإنسان في حلقة من الاستفسارات والتساؤلات والبحث والكشف والتنقيب إلى قيام الساعة. غير أننا –وفي ظل هذه الحالة من التقدم– لا زال يحيط بالكثير من الأُسَر أُمّية تُعرِّض الأجيال الحالية لتنشئة مهزوزة ونفسيّة مُدَمَّرة؛ إنها أُمّية التربية...

فقد أجمع العقلاء أنّ من أهم أطواق النجاة للمجتمع (بناء الإنسان) ولا يتحقق ذلك إلا من خلال ملامح تربوية سليمة نافعة.. ومن أجل هذا المقصد كان إرسال الأنبياء وبعثة المرسلين.

فإنَّ مهمّة الأنبياء والمرسلين بعد دعوة الخلق إلى عبادة الله تعالى وحده تتمثّل في تربية الشعوب وإصلاح البشرية سلوكًا وسمتًا، ولا شكّ أنّ التربية من أهم الوسائل في الإصلاح العام والخاص، وتربية الأجيال الناشئة على السلوك القويم والطريق المستقيم هو ما ينشدُه المربّون والمُصلِحُون في كل زمان ومكان، غير أنّه مع تعدّد المشكلات وتنوعها في زماننا فإنّ عملية التربية باتت من أصعب المهام وأشدّها، مما يلزم معه البحث عن المنهج الشامل

والقويم في التربية للأبناء والبنات.

والناظر في مناهج التربية القديمة والمعاصرة يرى نورًا يُطلّ على البشرية بين تلك المناهج التي ربما اعتراها الكثير من أوجه النقص والانحراف، إنّه منهج النبي القدوة، والرسول الأسوة ﷺ كما عبّرت آيات القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ويتميّز المنهج النبويّ الشريف بأنه هو المنهج التطبيقي والعمليّ للقرآن الكريم المتوافق مع العقل والفطرة والشرع؛ سيّما وسيرة النبي ﷺ هي أشمل وأرقى وأكمل وأنقى وأميز وأوقع سيرة عرفتها الدنيا، وعلى هذا فإنَّ أساس هذا البحث هو "الحديث النبويّ الشريف" وتطبيقات الرسول ﷺ العمليّة لملامح ومعالم التربية الناجحة.

ففي هديه ﷺ زاد للمُرَبّين ولأوْلياء الأمور من الآباء والأمهات، وتعليم لهم جميعًا؛ إذ المُعلِّم هو مؤدِّب يتحلى بصفات المُرَبّين العظماء من الحكمة، والرحمة، والرأفة، والحلم، والتدرّج. ومن الطبيعي تلقائيا أن تنتج تلك السمات الاحترام والتقدير والتوقع الحسن والتشجيع والإعجاب والحب غير المشروط والصداقة والتوازن بين المرَبّي ومن يعمل على تربيته وتقويم سلوكه..

غير أنَّ الباحث يُقِرّ ويعترف بأنه أضعف من أن يكتُب عن جزء من صفحة من صفحات الهدي النبوي الشريف؛ فسيد الخلق محمد ﷺ هو صاحب المقام الرفيع، سيد ولد آدم!!. لكنها محاولة لِجَنْي بعض ثمرات سنّته وسيرته في التربية؛ فقد حفلت كُتب السنة النبوية والسيرة العطرة بمواقفه ﷺ في التربية الراقية للأولاد، سواء كانوا من صُلبه ونسبه أم أبناء المهاجرين والأنصار والبشرية من حوله.

وما جاء الحديث هنا عن منهجه الشريف في التربية إلا ليكون زادًا

للمربين والمؤسسات التربوية في المجتمع، ومن هنا جاء هذا البحث بعنوان: **التربية النبوية للأولاد وسبل الإفادة منها.**

ولاختيار هذا الموضوع أسباب، بيانها على النحو التالي.

أولا: سبب الكتابة في الموضوع:

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع ما يأتي:

١. كثرة المشكلات التربوية التي تقع في بيوت أغلب المسلمين؛ وقد كثرت الشكاوى من الآباء والأمّهات في كيفية التأثير على الأبناء والبنات، والبحث عن سُبُل علاج ذلك.

٢. خطورة مرحلة الطفولة وأثرها في بناء شخصية الأبناء، ومن ثم لزم الاهتمام بها وبأُسُس التربية المتعلقة بطبيعة تلك المرحلة العمرية.

٣. اعتبار تربية الأولاد في هذا الزمان مصدر قلق وحيرة عند كثيرٍ من الأُسَر، بل وتتفاقم المشكلة باهتمام الكثيرين بالدراسات الغربية وتلمّس الحلول عند غير المسلمين.

٤. شمولية المنهج التربوي للنبيّ ﷺ القائم على ثلاثة أهداف رئيسة –تعمل على تحقيق غايات تتصل بالمربِّي والمُربَّى، من خلال: [تكوين العقلية الواعية بالمعارف والمفاهيم الصحيحة، إثارة الوجدان ويقظة المشاعر والأحاسيس، ترقية السلوك وتنمية الأخلاق القويمة في حياة المُرَبَّى مع الأبناء والبنات].

٥. صلةُ الموضُوع بالتخصّص العلمي الدقيق في الثقافة الإسلامية والدعوة؛ حيث يهتمّ القسم العلميّ بقضايا الأسرة والتربية كأحد صور النظام الاجتماعي الذي يعدّ بابًا من أبواب الحضارة الإسلامية الراقية.

ثانياً: أهداف البحث:

ويهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

١. التعريف بأهم مزايا المنهج النبوي في التربية الوالدية، وبيان صفات المربي النّاجِع من خلال منهجه ﷺ؛ لتيسير التطبيق.

٢. تقديم رؤية إسلامية لطُرُق التربية الصحيحة -خاصّة في مرحلة الطفولة-؛ ابتغاء بناء الإنسان السوي في الواقع المعاصِر.

٣. زيادة استشعار الآباء والأمهات بالمسؤولية والأمانة نحو ذرياتهم، مع تزويد المربين ببعض المعارف والوسائل التطبيقية في علاج مشكلات الأولاد واحتوائهم في ظل زمنٍ تعدّدت فيه أسباب الانحراف.

٤. نشر المنهج النبوي بين الناس، وضرورة التمسّك والاقتداء واقتفاء أثره ﷺ لتقليل حِدّة التوتّر اللاحق بالحياة الأسرية في زماننا.

٥. الدعوة إلى تلمّس بركات حركات وسكنات سيدنا رسول الله ﷺ في الحياة، وبيان الحاجة المُلِحَّة إلى سنّته النبويّة وسيرته العطرة -صلوات الله وسلامه عليه- وهديه الشريف في تربية الأبناء.

ثالثاً: تساؤلات يحاول البحث الإجابة عنها:

يسعى البحث إلى الإجابة عن عددٍ من التساؤلات، من أهمها:

- ما أهم المزايا التي تميّز المنهج النبوي في تربية الأطفال؟
- ما صفات المربي الناجع كما صاغتها السنّة النبوية؟
- كيف يستنبط المُرَبّي وسائل التربية الناجعة من منهج النبي ﷺ؟
- ما الوسائل التي سار عليها النبيّ ﷺ في تربيته لأطفال المسلمين؟
- كيف استطاع النبيّ ﷺ تعديل سلوكيات الأولاد الخاطئة من خلال طريقته التربوية؟
- هل يمكن الإفَادة المعاصِرَة من منهج النبيّ ﷺ ووسائله في التربية؟

رابعاً: الخطوات التي سلكتُها في البحث:

١. الاعتماد على ما صحّ من الحديث النبوي الشريف.
٢. قد يرد الدليل أكثر من مرة، وفي كل مرة يُذكر فيها يُراد منه قيمة جديدة تخدم الفكرة التي ورد فيها الدليل في موقعها من البحث.
٣. الربط بين النص الشريف والتطبيق النبوي للرسول ﷺ والواقع التربوي المعاصر؛ رغبة في التأسي الحقيقي برسول الله ﷺ والوصول إلى نتائج إيجابية في عالَم التربية اليوم.
٤. تقسيم البحث إلى محورين أساسيين: **المحور الأول:** حول شخصية النبيّ ﷺ التربوية ومزاياها وما يُستفاد منها للمربين. **المحور الثاني:** بيان أهم الأسس والأساليب التربوية التي استخدمها النبيّ ﷺ في تربيته للأولاد، مع بيان سبل التطبيق المعاصرة لها.

خامساً: خطة البحث

وقد اشتمل البحث إجمالاً على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.. وبيانها تفصيلاً على النحو التالي:

مقدمة: واشتملت على أسباب اختيار البحث وأهدافه وتساؤلاته وخطّته.

تمهيد: ويشتمل على نقطتين:

(أ) تحديد أهم المصطلحات الواردة في البحث.

(ب) الحاجة إلى هدي النبيّ ﷺ في التربية.

المبحث الأول: مِن خصائص المُرَبّي صلوات الله وسلامه عليه.

المبحث الثاني: صفات المربي الناجِع من خلال المنهج النبوي.

المبحث الثالث: أُسس وأساليب المنهج النبويّ في تربية الأولاد.

المطلب الأول: أسس المنهج التربوي للنبيّ ﷺ.

المطلب الثاني: أساليب النبيّ ﷺ في التربية.

المبحث الرابع: سُبُل الإفادة من منهج النبيّ ﷺ في التربية.

خاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

والله تعالى أسألُ أن يوفِّقنا جميعًا لما يحبّه ويرضاه،

وأن يتقبّل سائر سعينا، وأن يجعله في موازين حسناتنا جميعًا.. اللهم آمين.

التمهيد

ويشتمل على نقطتين:

- الأولى: تحديد أهمّ المصطلحات الواردة في البحث.
- الثانية: الحاجة إلى هدي النبيّ محمد ﷺ في التربية.

النقطة الأولى:

تحديد أهمّ المصطلحات الواردة في البحث

أولا: بيان مفهوم التربية: يُعدّ لفظ التربية من الألفاظ المشتهرة بين المربين والمختصين، وقد وردَ لفظ (الرب، وربّي) في القرآن الكريم ما يقارب المائتي مرة تقريبًا.

(أ) **مفهوم التربية لغة**: يتنوّع مفهوم التربية في اللغة، فأحيانًا يأتي بمعنى الإصلاح، ومنه ما جاء في لسان العرب: أن التربية من ربّ. والرَّبُّ هو المُصْلِحُ، تقول: رَبَّ الشيءَ إذا أَصْلَحَه[(١)]. ويأتي بمعنى الزيادة والتنمية والإتمام، ففي القاموس المحيط: رَبَا رُبُوًّا، كعُلُوٍّ، ورِباءٌ: زادَ، ونَمَا، وارْتَبَيْتُه[(٢)].

مما سبق يتضح لنا أن مفهوم التربية لغة يعبر عن الإصلاح، والزيادة، والنماء، والإتمام، والتنمية، والتنشئة، وعليه فالتربية هي حالة تنشئة الفرد وإصلاحه والعمل على تهذيب أخلاقه وسلوكياته، مع حفظه ورعايته في كافة جوانب حياته.

(١) لسان العرب: لابن منظور (المتَوَفَّ: ٧١١هـ)، فصل الراء، ج١، ص٤٠١، ط٣/ ١٤١٤هـ، دار صادر- بيروت.

(٢) القاموس المحيط: للفيروز آبادي (المتَوَفَّ: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ص١٢٨٦، ط٨/ ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

(ب) مفهوم التربية اصطلاحاً: يذهب الإمام البيضاوي إلى أن التربية تعني: تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا[١]. واعتبر الراغب الأصفهاني في المفردات أنَّ التربية هي: إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التمام[٢]. فالطفل يولد لا يعلم شيئًا، يريد من يسانده ويعينه ويقوي عضدَه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

ويرى بعض العلماء أنّ التربية هي: (رِعايَةُ نُمُوِ الإنسَانِ في جَوانبِه الجِسميَّة والعَقليَّة واللُّغويَّة والانْفِعاليَّة والاجتِماعيَّة والدِّينيَّة ، وتَوجِيهِها نَحوَ الأصلح، والوُصُولُ بها إلى الكَمالِ" [٣] **كما أنها تعني**: (السير بالإنسان نحو الكمال الذي أحبّه الله تعالى)[٤]. فهي عبارة عن عمل منسّق يستهدف نقل معارف، وتكوين الشخصية الإنسانية، والسعي بها نحو طريق الكمال من جميع النواحي على مدى الحياة، فضلا عن أن التربية تمثّل (الجهود التي يبذلها الإنسان قصدًا لإحداث تغيّرات مرغوبة في البيئة المادية والاجتماعية)[٥].

---

(١) تفسير البيضاوي= أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المَتَوَفَّ: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ج١، ص٢٨، ط١/ ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٢) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المَتَوَفَّ: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ص٣٣٦، ط١/ ١٤١٢هـ، دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت.

(٣) علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة): د. حامد عبدالسلام زهران، ص١٠، ط٥/ ١٩٩٠م، عالم الكتب، القاهرة.

(٤) دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ: أ.د/ محمد رواس قلعه جي، ص٢٦٣، ط١/ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

(٥) في الفكر التربوي الإسلامي: لطفي بركات أحمد، ص٤٧: ٥٣، ط١/ ١٩٨٢م، دار المريخ- الرياض.

ويتّضِح من التعريفات السابقة أن التربية عبارة عن عملية مُرَكَّبة تحوي عددًا من الوسائل والأساليب المتعددة، التي تعمل على إصلاح شأن الأبناء والبنات في كافة جوانب حياتهم، تركّز على تقويمهم ماديًّا ومعنويًّا على السواء. أو بمعنى إجمالي: (إعداد الإنسان الصالح). ولعل قصد العلماء بالكمال: حالة الرضا من الخلْق والخالق للشخص المربَّى، لا الكمال اللائق بذات المولى تبارك وتعالى.

ثانياً: مصطلح أصول التربية:

(أ) يعود تعريف الأصل في اللغة إلى الثبات والأساس، يقول ابن منظور في لسان العرب: والأصل: أَسفل كُلِّ شَيْءٍ وَجَمْعُهُ أُصُول، وأَصُلَ الشيءُ: صَارَ ذَا أَصل، وَكَذَلِكَ تَأَصَّلَ. وَيُقَالُ: اسْتَأْصَلَتْ هَذِهِ الشجرةُ أَي ثَبَتَ أَصلها[1]. فالأصل هو الأساس الثابت.

(ب) وأمَّا بإضافة كلمة (أصول) إلى كلمة (التربية)، فإنها تمثّل: (القواعد التي يتوصّل بها إلى ابتناء العملية التعليمية... ثم يضيفها إلى الإسلام فيقول: هي مجموعة القواعد العامة التي تُستقَى من نصوص الشريعة وروحها، ومن آراء كبار علماء المسلمين المربين، ومن خبرات مستقاة من تجارب الآخرين؛ لتكون نواة للتأصيل المنشود[2].

وعلى هذا فإن أصول التربية تمثل: مجموع الأُسس التي وضعها العلماء بقصد المساهمة في إعداد الإنسان وتكوينه بصورة صحيحة، تتناسب مع واقعه الذي فيه يحيا.

(١) لسان العرب لابن منظور: فصل الألف، ص١١، ج١٦ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

(٢) أصول التربية في الإسلام: مفاهيمها وقواعدها: أحمد عصام فوزي الصفدي، بحث مقدم للقاء السنوي الخامس (التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس)، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، في الفترة من ١٢: ١٥/ ١١/ ١٤١٣هـ، ص٢٩ (بتصرف)، الرياض: ١٩٩٢م.

ثالثاً: التربية النبوية:

إنّ التربية النبوية بمفهومها الشامل تعني (نظامًا متكاملاً لتربية الإنسان وفقًا لفلسفة التربية الإسلامية وأهدافها)[١]. ويمكن القول بأنّ التربية النبوية هي: الطريقة العملية في تربية الأبناء والبنات وفقًا لما جاء في السنة النبوية والسيرة العطرة، بحيث تعين القارئ والدارس على تحديد أنسب الطُرُق والوسائل التي يمكن استخدامها في تعديل سلوكيات الأطفال وبناء شخصياتهم بناءً يؤهّلهم لحمل رسالة الإسلام إيمانًا وسلوكًا، بواسطة الاستنباط من سنّة النبيّ ﷺ وسيرته الشريفة.

ويلحق بمصطلح التربية النبوية مصطلح التربية الإسلامية –إذ كلاهما يعني المصدرية والمرجعية للوحي الشريف–، وقد عرّف بعضهم "التربية الإسلامية" بقوله: "تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، والتي ترسم عددًا من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكًا يتفق وعقيدة الإسلام"[٢].

كما يرى البعضُ أن التربية الإسلامية هي: (عملية تقويم وتوجيه لسلوك الإنسان هدفها تطبيق المنهج الإلهي، بالاستعانة بالوسائل والطرق التي حدّدها المنهج نفسه، وهي تنشئة الطفل وتكوينه إنسانًا متكاملا من جميع نواحيه المختلفة)[٣].

فالتربية النبوية إذًا:

(١) نحو تربية إسلامية: حسن الشرقاوي، ص١٢، ط. مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية: ١٩٨٣م.
(٢) أصول التربية الإسلامية: سعيد إسماعيل علي، ص٢٢، ط. دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة: ١٩٨٧م.
(٣) التربية الأخلاقية الإسلامية: د. مقداد يالجن، ص٥٤، ط١/ مكتبة الخانجي– مصر.

هي الطريقة التي انتهجها النبيّ ﷺ تربويًّا في إعداد الإنسان الصالح، ومعالجة أخطائه إذا أخطأ، وتشجيعه وتحفيز همّته نحو السلوك القويم. ولا يخفَى عن شريف علمكم أنّ مستقبل المجتمع المسلم مرهون بحُسْن إعداد الجيل الناشئ، ولن تُفلح كل النظريات التربوية في هذا ما لم تُغَلَّف بقيم التربية النبوية المعصومة، المستنبطة من هدي النبيّ محمد ﷺ.

رابعاً: الثقافة التربوية:

هي تلك الثقافة التي يبتغيها الإسلام من المُربّين والقائمين على العملية التربوية في المجتمع، وقد عرّفها بعضهم بقوله، هي: (مجموعة المعلومات والخبرات التي نحتاج إليها في تكوين البيئة التربوية، وفي طرق تهذيب الأولاد وتنشئتهم النشأة الصحيحة، وفي التعامل مع مشكلاتهم وأخطائهم)[1]. وعليه فإن المربي مُطالَب بالتثقّف في أساليب ووسائل التربية، في ظلّ التحديات والمشكلات المعاصرة.

ويمكن تحقيق الثقافة التربوية من خلال الوسائل التالية:

١. القراءة في الكُتب المختصّة لعلماء التربية والصحة النفسيّة وعلم نفس النمو.
٢. حضور الدورات التدريبية للمختصين في التدريب التربوي.
٣. التواصل مع مواقع الاستشارات التربوية على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، ويفضّل انتقاء المواقع التابعة لمؤسساتٍ رسمية معتمدة في هذا الشأن.
٤. الاشتراك في مجلة تربوية متخصصة؛ ينتفع المربي بمنشوراتها ومقالاتها التربوية.

(١) القواعد العشر (أهم القواعد في تربية الأبناء): د. عبدالكريم بكار، ص٨، ط٤/ ١٤٣٢هـ= ٢٠١١م، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية.

٥. استشارة المتخصصين من الأساتذة التربويين.

خامساً: التعريف الإجرائي لعنوان البحث:

يمكن من خلال ما سبق استقاء تعريف إجرائي يوضّح المقصود بعنوان البحث وهو: مجموعة الأفكار والوسائل والأساليب والطرق التي سلَكَها النبيّ ﷺ واتخذها سبيلا للتربية الوالديّة للأبناء، وإعدادهم فكريًّا وعاطفيًّا وبدنيا وأخلاقيًّا، وبيان سبل تطبيق تلك الأفكار التربوية في العصر الحالي؛ سعيًا إلى سلامة جسد المجتمع المسلم في زمنٍ تحفّه الشبهات والشهوات من كل جانب.

❁❁❁

النقطة الثانية:

الحاجة إلى هدي النبيّ محمد ﷺ في التربية

باتت الحاجة مُلِحَّة في ضرورة الرجوع إلى هدْي النبي ﷺ في هذا العصر الذي كثرت فيه المغريات والشهوات، وتعددت فيه أسباب وصور الانحراف، ومن ثمّ فإنّ هدْي النبيّ ﷺ في كل مناحي الحياة عمومًا، وفي التربية خصوصًا يتسم بالآتي:

أولا: عصمة النبي محمد ﷺ فمع كون رسولنا ﷺ بشرًا، لكنه بشرٌ يوحَى إليه، ولا ينطق عن الهوى، كما أخبرت آيات الكتاب المجيد، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ – ٤]. أما غيره من المُرَبّين فلا عصمة لهم من الزلل أو الخطأ. كما قال المولى ﷻ في كتابه الحكيم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فالكلام إذًا عن منهجٍ معصوم، لا ينحرف عن الغاية الربانية ولا عن الهدف السامي في الإصلاح والتغيير.

ثانيًا: معايشته ﷺ للواقع الإنساني كإنسان وشمولية منهجه، فضلا عن سهولة تطبيق منهجه ﷺ في التربية، من خلال:

١. نظرته للإنسان كإنسان: ليس ملكًا فيرتفع به إلى الملائكية، ولا ينزل به إلى مستوى الحيوانية والبهيميّة، ولا يفرض عليه العُزلَة والرهبنة، ولا يرتكس به إلى أحطّ درجات الأخلاق، لكن الاعتدال في النظرة إلى الإنسان سما بهذا المنهج الكريم، ففي الحديث الصحيح حين جاء ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ

النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا واللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)].

٢. أن تطبيق هذا المنهج سهل يسير، وقد طُبِّق بين الأعراب الجفاة القُساة، وتحوّلوا -من خلاله- إلى قادة للأمم والشعوب وسادوا به بين جميع الأُمم.

ثالثًا: لأنّ هدْيه ﷺ هدي تمام الأخلاق: فلقد حدّث النبيّ ﷺ عن نفسه وبعثته بقوله الجامع المانع: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ»[(٢)]. فلا بد من استثمار صالح الأخلاق في هديه ﷺ، والاسترشاد بمنهجه الخُلُقي القويم لتصلح مجتمعاتنا الإسلامية وتستضيء بنور الهدي النبويّ.

رابعًا: أمر الله تعالى بالاقتداء به ﷺ: فإنّ اتباعه عبادة، واقتفاء أثره بركة، والاعتناء بتطبيق طريقته في الحياة لفرصة عظيمة لنيل الثواب العميم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولذا قال الخطيب البغدادي: (يَنْبَغِي لِطَالِبِ الحديث أَنْ يَتَمَيَّزَ فِي عَامَّةِ أُمُورِهِ..... بِاسْتِعْمَالِ آثَارِ رَسُولِ الله ﷺ مَا أَمْكَنَهُ، وَتَوْظِيفِ السُّنَنِ عَلَى نَفْسِهِ). كما نقل عن إِبْرَاهِيم الْحَرْبِيّ قوله: «يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ إِذَا سَمِعَ شَيْئًا مِنْ آدَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِهِ»، وقال سفيان الثوري: «إِنِ

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، حديث رقم (٥٠٦٣).

(٢) الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدالله (المَتَوَفَّى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، باب حسن الخلق، حديث رقم (٢٧٣)، ص١٠٤، ط٣/ ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م، دار البشائر الإسلامية- بيروت. وقال عنه المحقق: "صحيح"، وله روايات أخرى عند مالك في الموطأ، وأحمد في المسند، وعند الحاكم في المستدرك على الشيخين، وقال عنه: حديث صحيح على شرط مسلم.

اسْتَطَعْتَ، أَلَّا تَحُكَّ رَأْسَكَ إِلَّا بِأَثَرٍ فَافْعَلْ»[(١)]. فهديه ﷺ نلتزم به تعبّدًا، ويسير المسلم على خُطَاه تقربًا إلى الله تعالى. ولا يتحقّق ذلك ولا يتوفّر إلا فيه وله عليه السلام..

خامسًا: لتقرير ضرورة الأخذ عنه دون أفكار أو قناعات سابقة: فبعض الناس ربما يأخذ من هديه ﷺ بهدف بيان صحة القناعات السابقة لديه، أو الصورة الذهنية عن التربية، فيأتي إليه ليأخذ عنه ما يؤكّد فكرته أو توجّهه، وهذا خطأ لا يصح؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ هو الرمز الذي يُؤخَذ عنه، ويستدل به على غيره، وليس العكس[(٢)].

سادسًا: الحاجة إلى النموذج الأمثل لبناء شخصية الإنسان المعاصر: ولا يقوم بهذا الجُهد ولا يحقّق هذا الطموح إلا رسول الله ﷺ، بأقواله وحركاته وتصرفاته وسلوكياته، وذلك من خلال سنة وسيرة النبي ﷺ وتتبع هديه في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، وما لذلك من أثر في حياة الدّعاة والمُربّين، إذ الحفظ وحده لا يكفي؛ فهناك كما قال الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله– في فقه السيرة: (....ببغاوات كثيرة تردّد ما تسمع دون وعي، ولقد نرى أطفالا صغارا يُلقون –بإتقان وتمثيل– خطبا دقيقة لأشهر الساسة والقادة. فلا الأطفال –بما استُحفظوا من كلام الأئمة– أصبحوا رجالا، ولا الببغاوات تحوّلت بشرًا... وقد تجد من

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتَوَفَّ: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، ج١، ص١٤٢، ط. مكتبة المعارف، الرياض (بدون تاريخ).

(٢) ينظر: التربية النبوية: د. محمد بن عبدالله الدويش، ص٢٨، ط١/ ١٤٣٧هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية– الرياض. (بتصرف).

يحفظ ويفقه، ويجادل ويغلب، ولكن العلم في نفسه كعروق الذهب في الصخور المهملة، لا يبعث على خير، ولا يزجر عن شر)[1].

(١) فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي السقا (المُتَوَفَّى: ١٤١٦هـ)، ص٧١، ط١/ ١٤٢٧هـ، دار القلم- دمشق.

المبحث الأول:

مِن خصائص المُرَبِّي صلوات الله وسلامه عليه

ستظلّ شخصية النبي محمد ﷺ هي الشخصية الأعظم في تاريخ البشرية جمعاء؛ فإنما يقاس ذلك بمقدار نجاح الشخصية على مستويات الحياة كلها، وبمقدار تأثيره العميق في شخصية من جاوروه وخالطوه. وذلك لأنه لم يصل أيّ منهج تربويّ في الدنيا إلى ما وصل إليه منهجه عليه الصلاة والسلام.

فإنّ البشرية لم تشهد في تاريخها مربيًا أتقن وأجادَ فنون التربية قولا وسلوكًا مثل سيدنا رسول الله ﷺ؛ فقد كان رسولا من الرسل، بل هو سيّدهم، قد جبله الله على أكمل الصفات وأشرف الأخلاق، بُعِث بالعلم مُعلّمًا، وأُرْسِل بالأدبِ مُؤَدِّبًا.

إنّ تربية النبيّ ﷺ لأطفال المسلمين هي التربية الأصلح والأنجع والأنسب لكل زمان ومكان؛ لأنها تقوم على الجمع بين الدين والدنيا، وتُراعِي الروح والبدن معًا، وهذا من أجلّ نِعَم الله تعالى علينا أن أكرمنا بسيدنا محمد ﷺ نقتدي به ونتأسَّى بسمته وسلوكه، وقد خصّه الله بخصائص أهّلته للقيادة والريادة في الدين والدنيا. "وقد أولت تربية الرّسول ﷺ اهتمامها لبناء شخصيّة الطفل بناءً متكاملاً متوازنًا ومتطورًا من جميع الوجوه، جسميًّا وعاطفيًّا وعقليًّا واجتماعيًّا وخُلُقيًّا وجماليًّا وإنسانيًا، حتى يصبح هذا الإنسان بشخصيّته المنسجمة لبنةً حيّةً وفعّالةً في بناء مجتمعه"[(١)].

(١) معجزة الإسلام التربوية: محمد أحمد السيد، ص٢٩، ٣٠، ط٢/ ١٩٨٢م، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع- الكويت.

ويكفي هذه الأمّة شرف الانتساب إلى هذا النبيّ العظيم؛ فهو المربي الذي استطاع أن يجمع جوانب التربية كلها بخلاف مناهج البشر الوضعية. والمُطالِع لهدي الرسول الحبيب ﷺ في علاقته بالأطفال الصِّغار والصِّبيان والغِلمان ممّن عاصروه والتقَوْا به، يكتشف أنّ النبيّ المؤيَّد كان لتربيته سمات عدّة، جعلت منهجه أرقى وأنقى المناهج التربوية التي رأتها الدنيا في أزمنتها الماضية والحالية، وللدلالة على ذلك أستعرِض عددًا من مزايا الهدي النبوي في تربية الأطفال، التي تعين على حُسْن التربية والتغيير. فقد كانت التربية والعناية بالأخلاق إحدى مهامه ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فهي تربية ربانية، لها مصدر لا يعتريه النقض أو النقص.. **ومن بين سمات طريقته ومنهجه ﷺ في التربية، ما يلي:**

أولاً: الأخذ بالأسباب وتعليم الآباء والأمهات

الأخذ بالأسباب في إنتاج النشء المميّز

فإنّ رسالة النبي ﷺ لا تنفصل عن واقع الناس؛ بل تتعلق بواقعية الفطرة والاهتمام بالولد حتى قبل مجيئه إلى الدنيا، بل قبل الارتباط بين الزوجين، ومن بين وسائل الأخذ بالأسباب في إنتاج وإخراج جيل يصلح لحمل الأمانة والرسالة وفقًا لهدي الرسول ﷺ وتوجيهاته الكريمة، ما يأتي:

١. دعوة النبيّ ﷺ المقبلين على الزواج وأولياء الفتيات إلى ضرورة حُسْن الاختيار لشريك الحياة ورفيق الدّرب، فقد جاء في الحديث عَنْ

عَائِشَةَ أم المؤمنين أنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ"(١).

٢. الوصية بالدعاء عند الجماع بين الزوجين؛ تفاديًا لتسلّط الشيطان على الطفل عند الولادة وفي رحاب حياته؛ ففي الحديث: « **لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرّهُ**»(٢).

٣. العناية بالمولود من أول لحظة يأتي فيها إلى الدنيا، كمثل الأذان في أذنه، والتحنيك، واختيار الاسم الجميل، حتى إنه ﷺ كان يُحوّل الاسم السيئ إلى اسم حسن، وكان يقيم العقيقة شكرًا لنعمة المولود، وأمر أصحابه بذلك وحثَّهُم عليه.

٤. التأكيد على أنَّ صلاح الذرية سبب من أسباب استمرار عمل العبد الصالح بعد موته، وهو في قبره؛ ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن النبيّ ﷺ قال: ((**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَه**))(٣). وهذا مما يحفّز الهمم في الأخذ بالأسباب في الاختيار الحسَن لشريك الحياة، والحرص على التربية الحسنة للأولاد؛ رغبة في الثواب العميمِ بعد الموت.

---

(١) سنن ابن ماجه، أبواب النكاح، بَابُ الأَكْفَاءِ، حديث رقم (١٩٦٨)، ج٣، ص١٤٢،١٤١، وقال عنه شعيب الأرنؤوط: حديث حسن بطرقه وشواهده. [انظر: سنن ابن ماجه: لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (المتَوَفَّ: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط١/ ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية- بيروت].

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ الوِقَاعِ، حديث رقم (١٤١).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الوصية، بَابُ مَا يَلْحَقُ الإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حديث رقم (١٦٣١).

ثانياً: أبوّته ﷺ الحانية:

فلقد كان النبيّ ﷺ للأولاد كالوالد الناصح المحب لأبنائه، يرجو لهم الخير ويحرص على تعليمهم ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، ففي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبيّ ﷺ قال: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ**»(١). واستتبعت والديته تلك لطف الخطاب، ورقة العبارات، واستمالة القلوب إلى الحقّ.

وقد كان ﷺ في منهجه التربوي يرفق بمن يربيه ويعلّمه، حتى إنه عليه الصلاة والسلام كان يقدّر ظروف الأولاد النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فساند الصبيان نفسيًّا وأيقظ فيهم اليقين في ربهم الكبير المتعال، وعاونهم اجتماعيا بمواساة من فقد منهم أباه أو أحد أقاربه، ووقف مع المتعسّر منهم ماديًّا، وعلّم من امتلك رصيدًا بسيطا في العلم، سواء في التعبد أو السلوك على السواء. تحقيقًا لقوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ**»(٢).

ثالثاً: مرافقة العلم للتربية:

فلا شكّ أن المُعَلِّم الحقيقي هو من ارتبط بالتربية قبل تعليم الأولاد، والأجمل أن يكون معلمًا بالسلوك التربوي. ولقد كان النبيّ ﷺ مربيًا معلمًا بسلوكه قبل لفظه وكلامه، فقام يشجّع الصبيان على التعلّم وبهمّة عالية،

(١) سنن أبي داود: (المَتَوَفَّى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند الحاجة، حديث رقم (٨) وهو حديث قوي الإسناد كما قال المحقق في التحقيق، ط١/ ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية، بيروت. والحديث له أصل في صحيح مسلم، وفي سنن ابن ماجه، وعند أحمد في المسند.

(٢) أخرجه مسلم عن جرير: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ، بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ، حديث رقم (٢٥٩٢).

وحفّز الهمم بالكلمات المشجّعة على التعليم. وقد ورد في الحديث: (إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا)[(١)].

وفي كلام ابن مسعود ﷺ ما يؤكّد على هذا السلوك التربوي؛ ففي الحديث عن ابن مسعود ﷺ -حين كان راعيًا لغنم عُقْبة بن أبي مُعَيْط- وقد التقاه النبيّ ﷺ، وطلب ابن مسعود -رضي الله عنه- منه قائلاً: يا رسول الله، علّمني من هذاَ القول -(أي: القرآن الكريم)-، يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: فمسح الرسول ﷺ رأسي، وقال: "**يرحمك الله، فإنك غُلَيِّم معلَّم**"[(٢)]. وفي لفظ آخر يعبّر عن أثر هذه التربية في نفسية ابن مسعود، وكيف أنّه تحول بهمّة عالية إلى التعلّم، يقول ابن مسعود ﷺ قلت: علِّمني من هذا القرآن، قال: "إنك غلام مُعَلَّم"، قال: **فأخذت مِن فِيهِ سبعين سورةً**[(٣)].

ولما تخرّج هذا المتعلّم -ابن مسعود ﷺ- من مدرسة المُرَبّي سيدنا رسول الله ﷺ، إذ به يطبّق ما تعلّمه من تشجيع تربويّ وتحفيز للمتعلّمين، فكان إذا رأى طلاب العلم يرحّب بهم فيقول: «**مَرْحَبًا بِكُمْ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ، وَمَصَابِيحَ الظُّلْمَةِ، خُلْقَانَ الثِّيَابِ** -(يلبسون الثياب البالية)-، **جُدُدَ الْقُلُوبِ**»[(٤)] فيزدادون نشاطًا وهمّة عالية في الطلب والإلقاء.

(١) صحيح مسلم: كتاب الطلاق، بَابُ بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لا يَكُونُ طَلَاقًا إِلا بِالنِّيَّةِ، حديث رقم (١٤٧٨).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفَّى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ومن مسند بني هاشم، مسند عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، حديث رقم (٣٥٩٨) ط١/ ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة- بيروت، وهو حديث صحيح.

(٣) مسند الإمام أحمد: حديث رقم (٣٥٩٩)، وقال عنه في التحقيق: (إسناده صحيح).

(٤) أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان: فصل في فضل العلم وشرف مقداره، رقم (١٦٠٠)، ج٣، ص٢٤٢ [ينظر: شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفَّى: ٤٥٨هـ)، ط١/ ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند].

رابعاً: الشمول والتوازن:

حيث قد عني ﷺ بكل جوانب التربية في حياة الأولاد، بالتربية العقدية والروحيَّة، والتربية التعبدية، والتربية البدنية، والتربية الصحية، والتربية النفسيّة، والتربية العلمية والثقافية، والتربية الاجتماعية، والتربية الأخلاقية، والتربية الدعوية، والتربية السياسية، والتربية الاقتصادية، والتربية العسكرية، وهكذا كانت تربيته شاملة متكاملة.

فما ترك النبيّ ﷺ جانبًا من جوانب الحياة إلا وتناولها قولا وسلوكًا؛ "حيث تتناسق طبيعة هذه التربية مع تكوين الإنسان وتقويمه، فمن حيث هو نفخة من روح الله ينبغي أن يعتني بتربيته بالجانب الروحي والمحافظة على سلامة صلته بالخالق المُرَبِّي، ومن حيث هو مخلوق من طين له رغباته ودوافعه ينبغي أن يزوَّد بكل المقومات والمهارات التي تنظّم وجوده الماديّ، ومن حيث هو خليفة الله في الأرض ينبغي أن يزوّد بكل المعارف والمهارات التي تمكّنه من فهم العوالم المحيطة بها وإدارة حياته وأداء دوره"[(١)]. كما أنها كانت تربية متوازنة تجمع بين العقيدة والشريعة والأخلاق، متوازنة بين احتياجات الروح واحتياجات الجسد، فهي تربية لا تغلِّب طرفًا على طرف، فكما كان يربي على العقيدة والعبادة، كان يربّي على المرح والترويح واللعب مع الصبيان.

خامساً: الصبر على الأولاد والمُتعلِّمين:

فلا يُنفِذ غضبه على من أخطأ في الكلام أو التصرف من الصبيان، فلقد ثبت في السنة المباركة أنّه ﷺ كان يصبر على جفوة من يربيه ويعلّمه، يصبر إذا أخطأ في تعبيراته اللفظية، أو تصرفاته السلوكية، وقد ورد في

(١) تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية: أ.د ماجد عرسان الكيلاني، ص٢٩، ط٢/ ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.

وصفه ﷺ مثل ذلك، كما في حديث سيدنا عليّ بن أبي طالب ﷺ الطويل؛ وفيه:

(..... وَلا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ وَلا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ، أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فضرب بِرَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَاطِن إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ جَلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، .... **وكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَائِمَ الْبِشْرِ**، سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا سَخَّابٍ وَلا فَحَّاشٍ وَلا عَيَّابٍ وَلا مَدَّاحٍ

ثم قال ﷺ واصفًا: .... ويَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ –الغلظة والشدة والقسوة التي ربّما تظهر من أهل الجفاء من البادية– فِي مَنْطِقِهِ ومسألته حَتَّى إِذَا كَانَ أَصْحَابُهُ لَيَسْتَجْلِبُونَهُمْ[(١)]....)[(٢)]. ولا شك أن لمثل هذه الصفات أثرًا عظيمًا في هداية النَّاس.

سادساً: مشاركة الأولاد مهاراتهم:

لقد كان النبيّ ﷺ يعمل على مشاركة الصبيان في مهاراتهم ويُشْعِرهم بأهمية مهاراتهم، فقد جاءت امرأة إلى رسول الله تشكو ولدها، وكان من بين صفات هذا الولد أنه كان شاعرًا ويقرِض الشِّعر، فقال: أريده، ولنترك صاحب القصة يحكي هذا الموقف؛ حيث روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَدِفْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ؟**» **قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «هِيهْ» فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيهْ» ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيهْ» حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ**[(٣)].

(١) أي: يطلبون الغرباء للجلوس في مجلسه ﷺ؛ ليُتاح لهم الفرصة لسؤال النبيّ أسئلة كانوا في حاجة إليها.

(٢) أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان: حديث رقم (١٣٦٢)، ج٣، ص٢٤ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الشِّعْر، حديث رقم (٢٢٥٥).

يقول الإمام النووي: (... وقوله ﷺ: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئا؟ فهكذا وقع في معظم النسخ شيئا بالنصب، وفي بعضها شيء بالرفع، وعلى رواية النصب يقدّر فيه محذوف، أي: هل معك من شيء، فتنشدني شيئًا...)[1] وما هذا إلا مشاركة له.

كما أنّ مرافقته ﷺ للصبيّ مشاركة واهتمام، وطلبه الاستماع منه إلى ما كان يقول من شِعْر، هو نوع من الإشعار بالأهمية، حتى عدّلَ له النبيّ ﷺ شيئًا من الفهم في ميزان الشِّعر الذي ينبغي أن يُقال، فقد ثبت في رواية أخرى أنه عليه السلام قال له:

((أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل..)) فوفقًا لهذا يدلّه على الحسن من الشِّعْر، ونصحه بالأحسن بعد أن شارَكَهُ.

وفي موقف مشاركته مع الصبيان عند رمي النبال وتذكيرهم بأبيهم إسماعيل عليه السلام[2] دليل على عظمة مشاركة الآباء لأبنائهم في هواياتهم ومهاراتهم.

فليت الآباء والأمهات يشاركون أبناءهم وبناتهم المهارات الخاصة بهم، فإن هذا يُشعر الأبناء بالرعاية والاهتمام، فضلاً عن أنه يصرفهم عن لهو باطل وانحراف ربما يجرّهم إلى سُبل ضالّة معوجة يتعسّر معها العلاج بعد أن تتراكم وتتفاقم.

---

(١) شرح النووي على مسلم: ج١٥، ص١٢. (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

(٢) إشارة إلى حديث البخاري في الصحيح، وفيه: عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ» قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ؟»، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ» [صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى الرَّمْيِ، حديث رقم (٢٨٩٩)].

سابعاً: الحكمة في التربية والتوجيه:

المُرَبّي كالطبيب يصف لكل مريض ما يناسبه من دواء، وها هو ﷺ يُراعِي حال من يربيهم ويقوّمهم، مراعيًا الفروق الفردية بينهم، فقد اختصّ سيدنا معاذ بن جبل –رضي الله عنه– بإعلامه بثواب من قال (لا إله إلا الله)، ومات لا يشرك بالله شيئًا..

فلم يكن النبيّ ﷺ كغيره من البشر في تعامل أغلبهم مع المواقف والأحداث –خاصة مع الأبناء– بالعاطفة دون العقل والتعقل والحكمة والفهم. فها هو ﷺ يراعي حال من يُربيه ومَن يلقيه النصيحة؛ فلا شك أن ثمت فروقًا فردية بين الأولاد في الفهم والتلقي والتعلم والاستيعاب؛ فربما وجدناه يعلّم صبيًّا منهم أمرًا عقديًّا قد لا يستوعبه غيره، كما فعل في اختصاصه معاذ بن جبل ﷺ بثواب حديث (لا إله إلا الله)[(١)]. وقد بوَّب الإمام البخاري –رحمه الله– للحديث بقوله: (بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا). كما اختصّ النبيُّ ﷺ عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما– بحديث (إني أعلّمك كلمات)[(٢)].. وبالتأمّل في التوجيهيْن النبويّيْن للغلامَيْن –رضي الله عنهما– يتضح مدى استعمال الحكمة والعقل ووضع كل شيء موضعه المناسب وبذل

(١) إشارة إلى حديث فيه، أنّ النبي ﷺ قال لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ»، قَالَ: أَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا» [صحيح البخاري: كتاب العلم، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، حديث (١٢٩)].

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس، وفيه: أن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» [سنن الترمذي: (المتَوَفَّى: ٢٧٩هـ)، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر وآخرون، حديث رقم (٢٥١٦)، ط٢/ ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر. وقال عنه الشيخ أحمد شاكر: (حديث صحيح)].

التوجيه المُناسِب، في الوقت المُناسِب، وقد أثمر هذا التوجيه ليس في زمن الصحابة فقط بل في الأُمّة كلها.

وهي أمور اعتقادية، يستوعبها عقل كلا الغلامَيْن. ولا يعني ذلك جهل غيرهما، لكنهما أقدر على تحمّل المسؤولية فهمًا وتبليغًا، وتلك هي عين الحكمة التربوية في التربية؛ باختيار الوقت المناسب للنصيحة والموعظة، حكمةٌ باختيار الوسيلة المناسبة للتربية، حكمةٌ بالإجابة على التساؤلات المتعددة التي عُرِضت عليه ﷺ وفقًا لما يتوافق مع واقع السائل والمستشير.

ثامنًا: استخدامه التشويق صلوات الله وسلامه عليه:

فكان مع تربيته ﷺ يستخدم وسائل متعددة لتشويق الأبناء لما يقول ولما يعلمهم إياه؛ فمثلا كان يستخدم القصص كقصة الغلام مع الساحر والراهب والملك(١)؛ اهتداءً بما ورد في القرآن الكريم من إيراد القصص للأطفال والكبار. وكان يستخدم ضَرْب المثَل في تصحيح الأخطاء، حتى أنّ واحدًا من الصبيان كعبدالله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– كان يقول: ((حفظت عن رسول الله ﷺ ألْفَ مَثَل))(٢). وهكذا كان المربي الأول ﷺ ينوّع أساليب التشويق في تربية الأبناء، وهذا مما ينبغي أن يهتم به المربون؛ فللقصة والمَثَل والتشبيهات أثر كبير في نفسية المتلقِّي.

(١) القصة أوردها الإمام مسلم في صحيحه، برقم (٣٠٠٥) من حديث صهيب بن سنان ﷺ، كتاب الزهد والرقائق، باب قِصَّةِ أَصْحَابِ الأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلامِ.

(٢) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتَوَفَّ : ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ج٣، ص٨٧، ط٣/ ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

تاسعاً: بعْث الطمأنينة والثقة في نفس المُربِّي؛ كجزء من التشجيع:

فقد كان ﷺ إذا أراد أن يبعث أحد الصبيان أو الغلمان حديثي السنّ لأمر مَّا، كان يشجعهم ويبعث برسائل الطمأنينة والأمان في النفس وأنهم قادرون على الإنجاز والقيام بالأعمال..

ولا شكّ أن الثقة فيمن يوكل إليه عمل أو تُسنَد له مهمة تُؤتي ثمارها الطيبة، أما الخوف الزائد من عدم إنجاز المهمّة فإنّه يصنع جيلا قلقًا مُضطربًا لا يقوى على اتخاذ قرار، ضعيفًا في مواجهة أعباء ومتطلبات الحياة.

ومما يؤكّد ما سبق ما ثبت عن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ حين حدَّثَ بقوله: بعثني رسولُ الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسولَ الله، تُرسِلُني وأنا حديث السِّنِّ ولا عِلْمَ لي بالقضاء؟ فقال: "إنَّ الله عزّ وجلّ سيَهدى قلبَكَ ويُثبِّت لِسانكَ، فإذا جَلَسَ بينَ يديكَ الخصمان، فلا تقضِيَنَّ حْتى تَسْمَعَ مِن الآخَر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يَتَبيَّن لك القضاء" قال: فما زلتُ قاضياً، أو ما شككتُ في قضاء بعد[1]. فعملَ على تثبيته وتشجيعه والدعاء له بالتسديد والنجاح في مهمّته.

عاشراً: انتقاء الكلمات واللمسات التربوية الطيبة:

فلقد كان النبيّ ﷺ يستخدم الكلمات الحانية عند تصويب الأخطاء للأولاد؛ فما جرَح مشاعر واحدٍ منهم، ولا أراق ماء وجهه؛ بل كانت كلماته حانية، وعباراته هادئة، وتوجيهاته سديدة، نلحظ ذلك مما فعله النبيّ ﷺ مع ربيبه عمر بن أبي سلمة ﷺ حين أخذ في تعليمه آداب الأكل، فقال: «اجْلِسْ

(١) سنن أبي داود: أول كتاب الأقضية، باب كيف القضاء، حديث رقم (٣٥٨٢)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في التحقيق: حديث صحيح بطرقه.

يَا بُنَيَّ، وَسَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[(١)]. وربما صرّح بلفظ الحب لمن يربيه ويعلّمه، كما فعل مع معاذ، وصرّح له بحبّه إياه، وكان يدعو للأبناء ويشجعهم ويحفّزهم كما دعا لابن عباس (**اللهم علِّمه الكتاب**). وعند النصيحة كان يلامس النبيُّ ﷺ الطفلَ بيديه لمسة حنان ورقة ورفق ومن ذلك ما فعله ﷺ مع سيدنا عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ ﷺ حين أَخَذَ بِمَنْكِبِيه فَقَالَ: (**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**)[(٢)]. وكان يطلق كلمات الثناء والحب التي تشجّع على الإنجاز، ومن ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلا الله، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**»[(٣)]. ولا شكّ أن سيدنا أبا هريرة ﷺ قد نال دفعة معنوية قوية وكبيرة بثناء الرسول وتشجيعه له ستدفعه لمزيد من الحرص والاهتمام بالبحث وتلقي العلم، وقد كان.

وإذا كان هذا الثناء من سيد الخلق ﷺ على بعض الغِلمان يحفّزهم ويدفعهم إلى الأمام وإلى مزيد من الإنتاج والعطاء والحرص على طلب العلم،

---

(١) أخرجه أبو بكر الشافعي في الفوائد: بَابُ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِالأَكْلِ مِنْ جَوَانِبِ الْقَصْعَةِ، وَلا يُؤْكَلُ مِنْ أَعْلاهَا، (بسند حسنٍ). [يُنظر: كتاب الفوائد، أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن عبدوَيْه البغدادي الشافعي البزَّاز (المتَوَفَّ: ٣٥٤هـ)، حققه: حلمي كامل أسعد عبدالهادي، ط١/ ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م، دار ابن الجوزي- السعودية]. وأصل الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين: حديث رقم (٥٣٧٦)، وأخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، باب، آداب الطعام والشراب وأحكامهما: حديث رقم (٢٠٢٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، حديث رقم (٦٤١٦).

(٣) صحيح البخاري: كتاب العِلْم، بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ، حديث رقم (٩٩).

فإن سيدنا أوس بن معير (أبو محذورة الجُمحيّ)[١] قد وقع له مثل ذلك مع سيدنا رسول الله ﷺ؛ فعن أم عبدالملك بن أبي محذورة، عن أبي محذورة، قال: لما رجع النبي ﷺ من حنين، خرجت عاشر عشرة من مكة نطلبهم، فسمعتهم يؤذنون للصلاة، فقمنا نؤذّن نستهزئ. فقال النبي ﷺ: (لقد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت)، فأرسل إلينا، فأذّنّا رجُلاً رجُلا، فكنت آخرهم، فقال حين أذّنت: (تعال)، فأجلسني بين يديه، فمسحَ على ناصيتي، ثم قال: (اذهب، فأذّن عند البيت الحرام)، قلت: كيف يا رسول الله؟ فعلّمني الأولى كما يؤذنون بها، وفي الصبح: (الصلاة خير من النوم)، وعلَّمني الإقامة مرَّتين مرتين ...، قال الواقدي: كان أبو محذورة يؤذن بمكة إلى أن توفي سنة تسع وخمسين، فبقي الأذان في ولده وولد ولده إلى اليوم بمكة)[٢].

حادي عشر: القدوة والسلوك والنموذج التطبيقي:

لن يصل المربي إلى بغيته من التربية إلا إذا كان قدوة أمام من يربّيه؛ فلا يليق بأي مربٍّ أن يأمر بشيء ولا يفعله، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] وقد وُصِف النبي ﷺ ببعض ملامح القدوة في شهادة (الجُلندي ملك عُمان)، حين بعث إليه النبيّ بعمرو بن العاص ﷺ يدعوه إلى الإسلام، فقال: (لقد دلّني على هذا النبيّ الأميّ، إنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شرّ إلا كان أول تارك له، وأنه

(١) مؤذّن المسجد الحرام بمكة المكرمة، وصاحب النبي ﷺ كان من أندى الناس صوتًا وأطيبه، كما قال ذلك الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء: ج٣، ص١١٧ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

(٢) المرجع نفسه.

يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يهجر[١]، وأنه يفي بالعهد، وينجز الوعد، وأشهد أنه نبيّ)[٢].

هكذا أقنعه بالإسلام أن النبيّ ﷺ كان قدوة، يوافق قوله فعله. فلقد كان رسول الله ﷺ بشخصيته وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس، ترجمة عملية بشرية حية لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته. ومن دلائل القدوة في التربية النبوية ما جاء عن البراء بن عازب ﷺ قال: (لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ، رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر)[٣]. وهذا يُظهِر عِظَم المشاركة النبوية في حفر الخندق، وتلك هي القدوة بعينها التي تزرع الثقة في فريق العمل.

وعلى هذا فإن تربيته ﷺ قد اتَّسمت بالعديد من السمات، ولا يدّعي الباحث أنه حوى في هذه النقطة كل عناصر التميّز التربوي للنبيّ ﷺ، ومنها ما يأتي:

أولا: وضوح الهدف من التربية في التصحيح العقلي، والضبط النفسي، والتوظيف السلوكي المتميّز بحكمة وتدرج وتنوّع في الوسائل المستخدمة للوصول إلى الأهداف المرجوّة. فإن مشكلة المشكلات عند بعض الآباء والأمهات غياب الهدف من التربية، وربما غياب الهدف من الزواج وبناء الأسرة من الأساس، غير أنّ هدْي النبيّ في تربية الأطفال له هدفه

(١) أي: لا ينطق بكلام قبيح أو مُسْتَهْجَن.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المَتَوَفَّ: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلى محمد معوض، ج١، ص٦٣٧، ط١/ ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث رقم (٤١٠٦)، ج٥، ص١١٠.

السامي المتمثّل في بناء المجتمع وتماسكه والحفاظ على وحدته ورعاية مشاعر أبنائه.

ثانياً: ربانية المصدر، وشمولية التربية؛ فلقد كان عليه الصلاة والسلام مربيًا شموليًا بتربيته؛ يربي الأطفال في كل جانب حياتي، علميًّا وفكريًّا وبدنيًّا واجتماعيًّا وصحيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وأخلاقيًّا، فما ترك جانبًا من جوانب الترقية في التربية إلا وكان له فيه عطاء. وقد تعدّدت جوانب الشمولية في منهجه التربوي؛ فشملت الزمان والمكان والإنسان، والمضمون التربوي والوسائل والأساليب المستخدمة في التربية. ومن شمولها للإنسان التركيز على تربيته وإعداده قبل أن يولد وعند ولادته وبعد ولادته وفي مراحل عمره المختلفة. يُضاف إلى ذلك أنّ المناهج التربوية غير الإسلامية، قد ركّزت في ملامح تربيتها على جانب معين من جوانب الحياة، فمنها ما يتعلق بتحقيق التميز والاستقلالية، ومنها ما ينشغل بالمادة وحدها، ومنها ما شرُد نحو الرّوحانية المزعُومة دون الانشغال بالتحصيل المادي. أما المنهج الإسلامي فهو على عكس ذلك، من خلال المتابعة لهدْي رسول الله ﷺ.

ثالثاً: التوازن والجمع بين احتياجات الروح والبدن: وتلك دلالة عُظمى لتربيته ﷺ، فقد كانت تربية واقعية تتسق مع واقع المراحل العمرية المختلفة، بل وأنماط الشخصية الإنسانية المختلفة؛ حيث راعَى النمط العقلي فخاطبه بالعقل، وراعَى صاحب الإحساس المرهف فخاطبه بالمشاعر والعواطف، وراعَى صاحب المهارة فخاطبه باللسان الذي يفهمه ويرقّيه.

رابعاً: الإنسانية ومراعاة المشاعر؛ فلا يُعقل أن يخرج من رائد تربية أسلوبًا أو طريقة تتعارض مع الإنسانية والمشاعر الراقية؛ فما جرح ولا فضح ولا

أهان ولا أساء أبدًا ﷺ لأحد، حتى لخدَمِه كما ثبت في أحاديث سيدنا أنس بن مالك ﷺ خادم النبيّ ﷺ.

خامساً: واقعية التربية النبوية: فقد كان يراعي واقع المُرَبَّى في زمانه ومكانه وثقافته وظروف حياته الاجتماعية والاقتصادية، ومع واقعية هذه التربية النقيّة خرج إلى الواقع جيل فعّال في المجتمع، فَهِمَ عُمق رسالة الإسلام، وارتبط بدينه ارتباط الولد بأمّه الغالية. وهكذا هي تربيته ﷺ للأولاد بمزاياها المتعددة، وقد اتضح –بجلاء– أن التربية النبوية مدرسة رفيعة المقام، وفيها أحسن بيان، وأقوم بنيان لمن أراد أن يتعلّم وأن يتعايش بسيرته في تصويب ما طرأ على حياتنا ومناهجنا من أخطاء.

فكيف يستفيد المربُّون اليوم من هذا الهدْي الشريف؟ وهل من صفات يمكن استنباطها من سيرته ﷺ لإعداد المربين الفائقين؟ ويمكن التعرّف على جواب تلك التساؤلات في المبحث التالي بمشيئة الله تعالى.

❁❁❁

المبحث الثاني:

صفات المربي الناجح من خلال التربية النبوية للأولاد

لقد أوصى الله تعالى الآباء بحُسْن القيام على تربية أبنائهم، فحين يقول النبيّ ﷺ: (**اعدِلُوا بينَ أبنائِكم، اعدِلُوا بينَ أبنائِكم**)[(١)]. فهذا يعني في أبسط معانيه ضرورة التربية العادلة التي لا تفتح بابًا للشيطان. ومسؤولية الأبوين يلخّصها الإمام المُرَبّي أبو حامد الغزالي –رحمه الله– فيقول: "والصبيّ أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدّب وإن عُوّد الشر وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوِزْر في رقبة القيّم عليه والوالي له"[(٢)].

وقد لخّص الإمام ابن القيم تلك القيمة بقوله: (....فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة. وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارا، فلم ينتفعوا بأنفسهم. ولم ينفعوا آباءهم كبارًا، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق. فقال: يا أبت إنّك عققتني صغيرًا فَعَقَقْتُك كبيرًا، وأضعتني وليدًا فأضعتُكَ شيخا)[(٣)].

---

(١) سنن أبي داود: أول كتاب البيوع، باب في الرجل يُفَضِّلُ بعض ولده على بعضٍ في النُّحْلِ، حديث رقم (٣٥٤٤)، وهو حديث حسن.

(٢) إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ﴿ (المتَوَفَّى: ٥٠٥هـ)، ج٣، ص٧٢، ط. دار المعرفة– بيروت (بدون تاريخ).

(٣) تحفة المودود بأحكام المولود: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتَوَفَّى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ص٢٢٩، ط١/ ١٣٩١هـ= ١٩٧١م، مكتبة دار البيان– دمشق.

ومن هنا تأتي أهمية التعرف على صفات المربي الناجح من خلال سيرة النبيّ ﷺ ومنهجه التربوي في التعامل مع الأطفال. وعلى هذا فإنّ مِن بين الصفات التي ينبغي أن يتّصف بها المُرَبّي، ما يلي:

أولا: الوعْي بعظَم مسؤولية التربية قبل السعي في مراحلها

فمِمّا يؤكّد عِظم المسؤولية ما ورد في كتاب الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، ويشير الإمام الرّازي إلى معنى: (قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ) بقوله: (...قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ، أي: بالانتهاء عمّا نهاكم الله تعالى عنه. ثم ينقل عن مقاتل –رحمه الله– قوله: **أن يؤدّب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر**)[(١)]. ولقد أكّد النبيّ ﷺ في كثير من أحاديثه على أن الآباء والأمهات يتحمّلون مسؤولية الرعاية والتربية للأبناء والبنات، وأن الرعاية فريضة وعبادة؛ ففي الحديث: عَنْ عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**،.....»[(٢)]. ويتحدّث الإمام ابن حجر في الفتح عن سبب تلك المسؤولية وعلّة تحمّلها، فيقول: (...لأنَّ أهل المرء ونفسه من جملة رعيته وهو مسؤول عنهم؛ لأنه أُمر أن يحرص على وقايتهم من النار وامتثال أوامر الله واجتناب مناهيه..)[(٣)]. وفي الحديث أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ**

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتَوَفَّى: ٦٠٦هـ)، ج٣٠، ص٥٧٢، ط٣/ ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٢) صحيح البخاري: كِتَاب فِي الاسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ، بَابٌ: العَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَلاَ يَعْمَلُ إِلا بِإِذْنِهِ، حديث رقم (٢٤٠٩).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ج٩، ص٢٥٤، ط: دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»[(١)]. فولي الأمر مسؤول عن أولاده ورعيته، فإذا أهملَ عُوقِب..

ومما يساعد المربي على تحقيق الوعي بعظم التربية وأهميتها: القراءة في الكتب التربوية المتخصصة، أو حضور دورات تدريبية في تربية الأولاد، ولا يتعلّل المُرَبّي بالانشغال بتحقيق الحياة الكريمة، أو السعي في لقمة العيش؛ لأنه – باختصار – لا قيمة للمال والابن يُفسده ويُهلكه بسوء تصرفاته الناتجة عن عدم رؤيته لنموذج تربويّ ناجح.

ثانياً: الرفق والحلم لا العنف والتسلّط:

فالرّفق من أعظم الأخلاق والسمات التي يجب أن يتعامل بها المربون مع أبنائهم وبناتهم؛ فإنه إن فقد الابن الأمان داخل البيت فلا شكّ أنه سيُقنع نفسه بأمانٍ يجده مع صحبة مفسدة أو في رحاب صداقة تقتل أخلاقه وتنحر بيدها قِيَمَه، ولذا فقد جاء التأكيد النبويّ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»[(٢)]. وفي رواية: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[(٣)].

والمربي الواعي لا يثيره الخطأ بحيث يستشيط غضبًا ويقسو على من هو أدنى منه، ومن الطَّريف الذي يُحكَى –استئناسًا– ما نقله صاحب المستطرف بقوله:

(... قال عبدالله بن طاهر: كنَّا عند المأمون يومًا، فنادى بالخادم: يا غلام، فلم يجبه أحد، ثم نادى ثانيا، وصاح يا غلام، فدخل غلام تركيّ وهو يقول: ما

(١) صحيح البخاري: كتاب الأحكام، بَابُ مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً فَلَمْ يَنْصَحْ، حديث رقم (٧١٥٠).

(٢) أخرجه البخاري عن عائشة في كتاب: اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، باب: إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ وَلَمْ يُصَرِّحْ، حديث رقم (٦٩٢٧).

(٣) أخرجه مسلم عن عائشة في كتاب: الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ، بَاب: فَضْلِ الرِّفْقِ، حديث رقم (٢٥٩٣).

ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام إلى كم يا غلام، فنكس المأمون رأسه طويلا، فما شككت أنه يأمرني بضرب عنقه، ثم نظر إليّ فقال: يا عبدالله إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه، وإذا ساءت أخلاقه حسن أخلاق خدمه، وإنا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا)[(١)].

ثالثاً: الرحمة واللين لا القسوة والشدّة:

إنّ الرحمة هي عبادة القلب نحو الغير بالإحساس والتخفيف والتيسير والمواساة، وقد كان النبيّ ﷺ رحيمًا بالعيال، **كما قال أنس بن مالك** رضي الله عنه: «**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»، قَالَ سيدنا أنس رضي الله عنه: «**كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ[(٢)] قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ**»[(٣)].

يقول الإمام النووي: (**فَفِيهِ بَيَانُ كَرِيمِ خُلُقِهِ ﷺ وَرَحْمَتِهِ لِلْعِيَالِ وَالضُّعَفَاءِ... وَفِيهِ فَضِيلَةُ رَحْمَةِ الْعِيَالِ وَالأَطْفَالِ وَتَقْبِيلِهِمْ**)[(٤)]. وعلى هذا فإنّ المُرَبّي الذي ينقصه الرحمة لا يصلح للتربية، ففقدان الرحمة يعني الغلظة والشدّة والعقاب الدائم، كما أن مأساة الغلظة تُنتِج أبناء أصابتهم الهزيمة النفسية وضعف الثقة، أما الرّحمة فبها يرطّب الوالد نفسيّة ولَدِه، ويجذب انتباهه إلى الحسن من القول والسلوك، ويحضّه من خلالها على الخير، ويدعم بها الثقة بينه وبين الولد.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المَتَوَفَّ: ٨٥٢هـ)، ص١٢٨، ط١/ ١٤١٩هـ، عالم الكتب- بيروت.

(٢) الظِّئْر: المُرْضِعَةُ غَيرَ ولَدها. ويقَعُ عَلَى الذَّكَر والأُنْثَى. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٣، ص١٥٤. (مرجع سابق).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَابُ رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ، ح(٢٣١٦).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم= المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتَوَفَّ: ٦٧٦هـ)، ج١٥، ص٧٦، ط٢/ ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

فغياب الرّحمة في التربية هي إحدى مدمّرات العلاقة بين الآباء والأبناء، التي منها: (العنف، والعقاب، والتسلّط، والسخرية، والصراخ الدائم، وممارسة التحبيط، والحرمان... إلى غير ذلك)، وقد شاع في أوساط المربين استخدام الضرب والإهانة للأولاد –من وجهة نظر المُرَبّي– كوسيلة للتربية، وهذا مما منعته الشريعة الإسلامية وحذّر منه النبيّ ﷺ.

وقد ورد في حديثه ﷺ ما يدلل على أن من تعامل بالقسوة والشدة مع الأولاد فقد خرج عن منهج النبوّة الرشيد؛ فعن ابن أبى نَجيحٍ، عن ابنِ عامرٍ، عن عبدالله بن عمرو يرويه –قال ابنُ السرح: عن النبيّ ﷺ قال: "**مَن لم يرحَمْ صَغيرَنا، ويَعرِفْ حقَّ كبيرِنا، فليسَ منَّا**"[(١)]. ففيه دعوة صريحة إلى الرحمة بالأطفال، وخطورة القسوة وأنها قد تنزع عن المرء نسبته الشريفة إلى كمال الإسلام والإيمان.

رابعاً: الثبات الانفعالي لا التهوّر والاندفاع:

ويُراد بالثبات الانفعالي: ضبط الانفعالات النفسية عند التعامل مع الأولاد، من التحكم في الغضب، والقدرة على كظم الغيظ؛ فإن الأولاد في مراحلهم الأولى لا يتعمّدون الخطأ، وهم بحاجة إلى من يتفهّم مقصدهم، ويصَحِّح لهم أخطاءهم، ولا يتحقق ذلك للمُربّي إلا إذا كان صبورًا، قادرًا على التحكم في انفعالاته.

والمُتأمِّل في سيرة النبيّ الأعظم والرسول الأكرم ﷺ يجده ﷺ صابرًا على الأذى، مُتحمّلاً لأخطاء الغير، حتى تعلّم على يديه من جهِل، وصوّب بحكمته خطأَ مَن أخطأ.

خامساً: التدرّج في التغيير لا العَجَلَة:

فمن أهم صفات المربي الناجح أن يتدرج مع أبنائه وبناته في تعديل

(١) سنن أبي داود: أول كتاب الأدب، باب في الرَّحمة، حديث رقم (٤٩٤٣). وهو حديث (إسناده صحيح) كما قال في التحقيق.

السلوكيات الخاطئة وعلاجها، وكذا التعويد على العبادات والسلوكيات الحسنة، وتلك الصفة تُستَفَاد من أمر النبي ﷺ وتوجيهه للمربين بالتدرّج في تربية الأولاد مثلا على الصلاة؛ فعن عمرو بن شُعيب، عن أبيه عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "**مُرُوا أولاكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سِنينَ، واضرِبوهم عليها وهم أبناءُ عَشرٍ، وفرِّقوا بينهم في المَضاجِعِ**"(١).

ويُستنبط من هذا الحديث بيان أهمية الصلاة، وأهمية التعويد عليها منذ الصغر بالتدرج، وقد راعى النبيّ ﷺ في هذه الوصية التدرج حسب السن والمرحلة العمرية، بما يعني أن من صفات المربي الناجح ألا يتعجل الشيء قبل أوانه، ومن جميل ما اشتهر على ألسنة الناس: من تعجّل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه.

وفي الحديث السابق –أيضًا– إقرار التعويد على الصلاة ثم العقاب على تركها رغم أنها لا تجب على الابن قبل البلوغ، مع التأكيد على أن العقاب المقصود ليس عقابًا بدنيًّا مبرّحا، وقد قرر الخطيب البغدادي في الكفاية، أنّ (**الأَمْرَ بِالصَّلَاةِ وَالضَّرْبَ عَلَيْهَا إِنَّمَا هُوَ عَلَى وَجْهِ الرِّيَاضَةِ لَا عَلَى وَجْهِ الْوُجُوبِ**)(٢). وما ذاك إلا لغرض التدريب والتدرج في تعويد الأبناء على الالتزام بشعيرة من شعائر الإسلام، هي الفارق بين أهل الإسلام وغيرهم.

سادساً: الحزم المنضبط المُتوازِن:

وذلك بأن يكون المربي متوازنًا في تربيته لولده؛ فلا يتساهل في حال يستلزم الحزم، ولا يشتد في حال يلزم فيه اللين، ويكون ذلك بأن يحول الأب بين ولده

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم (٤٩٥)، وقال عنه شعيب الأرنؤوط: (إسناده حسن).

(٢) الكفاية في علم الرواية: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتَوَفَّى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، ص٦٣، ط. المكتبة العلمية– المدينة المنورة.

وبين ما يؤدي به إلى الانحراف والسلبيّة والضياع.

ولذا حرص الإمام ابن الجوزي ɔ على إيصال تلك الفكرة للمربي بقوله: (...فيا أيها المرزوق عقلًا! لا تبخسه حقه، ولا تطفئ نوره، واسمع ما نشير به، ولا تلتفت إلى بكاء طفل الطبع -(أي الطفل الذي مِن طبعِهِ البكاء المستمر)- لفوات غرضه؛ فإنك إن رحمت بكاءه، لم تقدر على فطامه، ولم يمكنك تأديبه، فيبلغ جاهلًا فقيرًا...)[(١)]. فالعجيب أنّ حياة بعض الأولاد قائمة على التدليل الزائد وقت الصغر؛ بحيث ينام وقتما شاء، ويأكل ما يشاء، ويلبس كيفما شاء، ويُصاحِب من يشاء،... ثم ترى الأبوَيْن في وقت كِبَر ولدِهما يتساءلان عن عدم تغيير أخلاق ابنهما إلى الأفضل.. وقد قال القائل يومًا:

وَيَنشَأُ نَاشِئُ الفِتْيَانِ مِنَّا * عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ**[(٢)].

سابعاً: الالتزام بالصدق دائماً:

حيث إنّ الابن يكون على قدر تطبّعه من أبويه، والصدق سلوك حميدٌ لا يُنتِج إلا الخير في التربية، وقد أشار النبيّ ﷺ إلى خطورة الكذب على الأبناء؛ فقد ثبت من حديث عبدِالله بن عامرٍ، أنه قال: دعتْني أُمي يومًا ورسولُ الله ﷺ قاعِدٌ في بيتنا، فقالت: ها تَعالَ أُعطِكَ، فقال لها رسولُ الله ﷺ "وما أرَدْتِ أن تُعطِيَهُ" قالت: أُعطِيهِ تمراً، فقال لها رسولُ الله ﷺ: "**أما إنَّك لو لم تُعْطِيه شيئاً كُتِبَت عليك كذبةٌ**"[(٣)]. ومن ملامح التربية الناجحة ألا يكذب الأب أو الأم على أولادهما لأيّ سبب كان؛ فالأبناء يقلّدون وسيعتاد الولد الكذب في حياته.

---

(١) صيد الخاطر: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتَوَفَّى: ٥٩٧هـ)، ص٤٤٧، ط١/ ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م، دار القلم- دمشق.

(٢) ديوان اللزوميات (لزوم ما يلزم): أبو العلاء المعَرّي، تحقيق: أمين عبدالعزيز الخانجي، قصيدة (قد اختلَّ الأنامُ بغيرِ شكٍّ)، ج٢، ص٤١٣، ط. مكتبة الهلال- بيروت، مكتبة الخانجي- مصر (بدون تاريخ).

(٣) أخرجه أبو داود في سُننه: أول كتاب الأدب، باب في الكذب، حديث رقم (٤٩٩١)، وقال عنه شعيب الأرنؤوط: (حديث حسن لغيره).

ثامناً: التحلي بالتواضع الحكيم:

فلا بدّ للمربي الصالح أن يكون متواضعًا لمن يُربيه؛ لأن التعالي يُخرج شخصية منهزمة مهزوزة نفسيًّا، وتزيد بسبب الكبر الفجوة بين الأب وولده. ولقد كان رسولنا ﷺ أكثر المربين تواضعًا على وجه العموم، وخاصة عند تعامله مع الصبيان والغلمان، فقد كان يُسلّم عليهم إذا مرّ بهم؛ فعَنْ سَيَّارٍ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَحَدَّثَ ثَابِتٌ أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ أَنَسٍ، فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَحَدَّثَ أَنَسٌ أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ «فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ»(١). يقول الإمام النووي: (**...ففيه استحباب السَّلام على الصبيان المميزين والندب إلى التواضع وبذل السلام للناس كلهم وبيان تواضعه ﷺ وكمال شفقته على العالمين واتفق العلماء على استحباب السلام على الصبيان...**)(٢).

كما كان ﷺ يذهب مع الجارية الصغيرة والأَمَة إلى السوق ليحمل معها حاجتها؛ فعن أنس بن مَالِكٍ، قَالَ: «**إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ الله ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ**»(٣). ويعلّق ابن حجر العسقلاني بقوله: (...والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل والأمة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت وبقوله حيث شاءت أي من الأمكنة والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ)(٤).

(١) صحيح مسلم: كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ السَّلامِ عَلَى الصِّبْيَانِ، حديث رقم (٢١٦٨).
(٢) شرح النووي على مسلم: ج١٤، ص١٤٩. (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).
(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَابُ الكِبْرِ، حديث رقم (٦٠٧٢).
(٤) فتح الباري لابن حجر: ج١٠، ص٤٩٠ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

تاسعاً: زرع الثقة بين المُرَبِّي والمُرَبَّى:

وتعد هذه الصفة من الصفات الغائبة عند كثير من المربّين في زماننا، حتى بِتْنا نسمع عن مشكلاتٍ تؤرّق الحياة الأسرية بسبب اهتزاز الثقة لدى الأبناء، ويمكن القول بأنّ الأبوين قد يكونان سببًا في إخراج شخصية مهزوزة نفسيًّا بسبب سوء التعامل مع الطفل في فترة الطفولة –خاصة– وذلك من خلال قتل كل جميل فيه من إبداع وإبداء رأي.

ومن هنا لزم التنبيه على ضرورة العمل على زرع الثقة في نفسية الطفل والابن والابتعاد عن تحبيط الأبناء؛ فلقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يحرص على تشجيع أبناء الصحابة بإطلاق ألقاب تحفّز همّتهم، فأثنى على ابن مسعود ﷺ بقوله: **(إنّك غلامٌ معلّم)**[(١)]، ودعا لابن عباس –رضي الله عنهما– بقوله: **(اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل)**[(٢)]، وضمّه النبيّ ﷺ يومًا إلى صدره ودعا له: **(اللهم علّمه الحكمة)**[(٣)] ولنتفكّر قليلا في أثر الضمّة النبوية لابن عباس، ونتيجة كلماته ودعواته المشجّعة له، فلله الحمد: صار ابن عباس حبر الأُمّة وعالمها في التفسير القرآني الكريم. كما حَرِصَ النبيّ ﷺ دومًا على اصطحاب وضمّ الأولاد إلى مجالس الكبار بقدر المستطاع. فالمربي الناجح يزرع الثقة في نفوس الأبناء، يدفعهم نحو تحمّل المسؤولية منذ الصغر.. **ومن وسائل زرع الثقة في نفسية**

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، حديث رقم (٤٤١٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، مَا ذُكِرَ فِي ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٣٢٢٢٣)، [ينظر: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار= مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتَوَفَّى: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١/ ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد– الرياض]. وأصل الحديث عند البخاري، برقم (١٤٣)، كتاب الوضوء، بَابُ وَضْعِ المَاءِ عِنْدَ الخَلاَءِ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ ذِكْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حديث رقم (٣٧٥٦)، بلفظ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ».

الطفل:

١. الإسرار إليه بسرّ مّا واختصاصه بذلك؛ يشعر معه بقيمته وقدره عند المربي، كما فعل النبيّ ﷺ مع فاطمة الزهراء –رضي الله عنها– ابنته، كما ورد في خبر وفاته –عليه الصلاة والسلام– فعن عَائِشَةَ أُمّ المُؤْمِنِينَ –رضي الله عنها–، قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَمْشِي، لاَ وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا: عَمَّا سَارَّكِ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ، قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتِنِي، قَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرَتْنِي، قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الأَمْرِ الأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أَرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ» قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ»[(١)].

وفي موقف عظيم يحكيه سيدنا أنس بن مالك ﷺ فيقول: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ بَعَثَنِي

(١) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان، بَابُ مَنْ نَاجَى بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ، وَمَنْ لَمْ يُخْبِرْ بِسِرِّ صَاحِبِهِ، فَإِذَا مَاتَ أَخْبَرَ بِهِ، حديث رقم (٦٢٨٥).

رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا.. قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ[1] -راوي الحديث عنه في السّنَد-.

٢. إعطاء الولد لقبًا محفّزًا ومشجعًا، كما كان يفعل الرسول ﷺ مع الصبيان والغلمان؛ تشجيعًا وتحفيزًا لهم، الاستماع إلى رأيه، وربما أخذ مشورة منه إن كان حكيمًا عاقلا يُفكِّر ويُقرّر الرأي في المسائل والمواقف، فضلا عن عدم التشكيك في مهارات الطفل وقدراته، بل ينبغي التشجيع والتحفيز.

❁❁❁

(١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم (٢٤٨٢).

المبحث الثالث:

أسس وأساليب المنهج النبوي في تربية الأولاد

المطلب الأول:

أسس المنهج التربوي للنبي ﷺ

أولا: الأسس الإيمانية والتعبدية

الأساس الأول: الاهتمام بعقيدة الطفل وتنمية وازع الإيمان لديه

لقد كان من أهم أسس تربيته ﷺ للأولاد: الاهتمام بتأسيس نفسية الأبناء على عقيدة سليمة وصحيحة؛ وذلك ببثّ اليقين في الله تعالى، وزرع الإيمان في نفس الطفل؛ فلا يُمكن لفاقد العقيدة السليمة من أبنائنا أن يثبت أمام المِحن والشدائد.

وفي ظلّ كثرة المشوشات الحياتية التي تعرض لأبنائنا نجد الكثير من التساؤلات الوجودية المُحيّرة، والتي تحتاج إلى إجاباتٍ مقنعة، ولن يثبت الأبناء أمام الشبهات إلا بسلاح العقيدة النقيّة القويّة، ولذا كان اهتمام النبيّ ﷺ بتنشئة الجيل الأول على تلك العقيدة الثابتة؛ وقد ثبت هذا من شهادة أحد الفتيان، وهو جُندب بن عبدالله رضي الله عنه[(١)] -من أصحاب رسول الله ﷺ- يقول: (**كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[(٢)]، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا**

(١) هو: الإمام، أبو عبدالله البجلي، العلقي، صاحب النبي ﷺ، نزل الكوفة والبصرة، وله: عدة أحاديث، روى عنه: الحسن، وابن سيرين، وأبو عمران الجوني، وأنس بن سيرين، وعبدالملك بن عمير، والأسود بن قيس، وسلمة بن كهيل، وأبو السوار العدوي، وآخرون. وعاش جندب البجلي، وبقي إلى حدود سنة سبعين. [ينظر: سير أعلام النبلاء: ج٣، ص١٧٤، ١٧٥. (مَرْجِعٌ سَابِقٌ)].

(٢) يقول ابن الأثير في النهاية: (هُوَ: جَمْع حَزْوَرٍ وحَزَوَّرٍ، وَهُوَ الَّذِي قَارَبَ الْبُلُوغَ، وَالتَّاءُ لِتأنيث الْجَمْعِ). [النهاية في غريب الحديث والأثر: ج١، ص٣٨٠ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ)].

بِهِ إِيمَانًا)[1] فكانت التربية بالعقيدة والإيمان هي بداية طريق التربية النبوية للأولاد، وكان من كمال التربية الإيمانية: الاهتمام بحفظ القرآن الكريم وتعليمه كما شهِد سيدنا جُندب ﷺ.

وكان حرصه ﷺ يشتدّ في تعليم الصبيان الإيمان والعقيدة؛ ليُخرج منهم جيلا يوقن بربه ولا يهتز إيمانه مع مشكلات الحياة وأزماتها؛ ففي الحديث أن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[2].

وفي هذا الموقف من الفوائد التربوية الكثير، منها:

١. حكمة المربي في استثمار الفرصة للتعليم والهداية وإرشاد الأبناء إلى العقيدة السليمة، وذلك في الوقت المناسب والملائم لنفسية وعقلية الأطفال.
٢. اسْتخدام كلمات تعبر عن المحبة عند تقديم النصيحة، كقول: (يا بني)، وفي الحديث: (يا غلام)، وفي ذلك إظهار للشفقة والمحبة.
٣. ربط مواقف الحياة بالعقيدة؛ بحيث لا ينفصل الأبناء عن وازع المراقبة لربهم في مواقف الحياة المختلفة؛ سيّما ونحن نرى في واقع مجتمعاتنا حجم الانحراف السلوكي والأخلاقي في حياة الأبناء بعيدًا عن رقابة الآباء والأمهات، مما يلزم معه تكثيف الدروس العقدية. وهذا غلامٌ

(١) سنن ابن ماجه: أبواب السنة، باب في الإيمان، حديث رقم (٦١)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) سنن الترمذي: أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حديث رقم (٢٥١٦)، وقال عنه الشيخ أحمد شاكر: (حديث صحيح).

آخر من غلمان عصر الرسول ﷺ يحدّث عن تربيته الإيمانية لهم وأنها كانت مقدّمة على غيرها من أنواع التربية، إنه عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما– يحكي فيقول: «**لَقَدْ لَبِثْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرٍ، وَأَحَدُنَا لَيُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ تَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَنَتَعَلَّمُ حَلالَهَا وَحَرَامَهَا، وَأَمْرَهَا وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهَا كَمَا يَتَعَلَّمُ أَحَدُكُمُ السُّورَةَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَانِ يَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، مَا يَعْرِفُ حَلالَهُ وَلا حَرَامَهُ، وَلا أَمْرَهُ وَلا زَاجِرَهُ، وَلا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ وَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ**[(١)]»[(٢)]. أضف إلى ذلك حرص النبيّ ﷺ على تعويد الأبناء السلوك الحسن، إمّا بالتربية الفردية أو الجماعية.

ومن آثار تلك التربية الإيمانية والعقدية للأولاد، ما يأتي:

١. "تعمل التربية الإيمانية على تثبيت العقيدة الدينية عند الأطفال وتربية الضمير والوازع الديني، ويستمد الطفل من التربية الإيمانية مقومات سلوكه الفاضل ويتعلّم كيف يمارس شعائر الدين ممارسة فعليّة"[(٣)].

٢. **اتزان النفس وضبط القلق النفسي الطارئ:** فالإيمان حين يملأ قلب الأبناء يجعلهم مطمئنين، مستقرين نفسيًّا، ويجعلهم عند الهموم أكثر يقينا في ربهم، فلا يشردون نحو هاوية الفكر أو السلوك.

---

(١) الدّقل هو: رديء التَّمر ويابِسُه، وَمَا ليْس لَهُ اسْم خاصٌّ فَتراه ليُبْسِهِ ورَدَاءته لا يُجْتَمع وَيَكُونُ مَنْثُورا [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص١٢٧ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ)].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الإيمان، أَمَا حَدِيثُ مَعْمَرٍ، حديث رقم (١٠١). وقال عنه الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» [المستدرك على الصحيحين: أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المَتَوَفَّ: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١/ ١٤١١هـ= ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية– بيروت].

(٣) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف: عبدالجواد سيد بكر، ص٢١٢ وما بعدها، ط. دار الفكر العربي– القاهرة: ١٩٨٠م.

٣. **ضبط الدوافع النفسية المختلفة:** فكلما كان الأبناء أقوى إيمانًا كانوا أقوى نفسيًّا، وأتقى لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] فالمؤمن الحقيقي يستطيع أن يضبط دوافعه وانفعالاته.

٤. **ثبات الأبناء على مبادئ الفكر والسلوك:** فلا شكَّ أن طبيعة الحياة مليئة بالأمور الصعبة، تحتاج من نفس صاحب العقيدة الثبات على المبدأ، والذي يتمّ تربيته على العقيدة الصحيحة سيثبت -بإذن الله- على مبادئ الصدق والعدالة والمحبة.

٥. **تحقيق التعايش السلميّ مع مَن حوله:** فالمتربّي على العقيدة السليمة سيُراعي أمر ربه في أخوته لغيره من المؤمنين، وتعايشه السلمي مع غير المسلمين.

الأساس الثاني:

التربية على ممارسة الزاد التعبّدي والدّعويّ

لقد كان النبيّ ﷺ يعمل على إسناد وتربية الأبناء على المهام الكبيرة، فيما يخصهم مع الله، ومع دعوتهم للآخرين إلى الخير، ومن ذلك:

التشجيع على إقامة الشعائر والمحافظة عليها: ولقد كان النبيّ ﷺ حريصًا على تولية شباب وصبية مسؤوليات الإمامة في الصلاة، ومن بين تلك النماذج توليته لعمرو بن سلمة ﷺ وكان شابًّا صغيرًا آنذاك، ففي الحديث عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو قِلاَبَةَ: أَلاَ تَلْقَاهُ فَتَسْأَلَهُ؟ قَالَ فَلَقِيتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ فَنَسْأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، أَوْحَى إِلَيْهِ، أَوْ: أَوْحَى اللهُ بِكَذَا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الكَلاَمَ، وَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ العَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلاَمِهِمُ الفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلاَمِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلاَمِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللَّهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا، فَقَالَ: «صَلُّوا صَلاَةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلاَةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا». فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي، لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ، كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الحَيِّ: أَلاَ تُغَطُّوا عَنَّا اسْتَ قَارِئِكُمْ؟ فَاشْتَرَوْا فَقَطَعُوا لِي قَمِيصًا، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ فَرَحِي بِذَلِكَ القَمِيصِ[(١)].. فأمرَ النبي ﷺ بإمامة الأكثر تلاوة وقراءة وحفظًا للقرآن الكريم، جاء القرار على الصبي المميّز عمرو بن سلمة ﷺ، وأمَّهم في الصلاة، ولعلّ في ذلك تشجيعًا وتحفيزًا لهمّته لإقامة الفرائض

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، حديث رقم (٤٣٠٢).

والمحافظة على الشرائع والتشريعات.

وكان ﷺ يُشَجّع الصِّبية ويحفّز هِمَمَهُم نحو شرائع الدين وفضائله من عبادات ترفع قدر العبد وتُدنيه من المولى عزّ وجلّ، كما كان الأمر مع ابن عمر في حديث قيام الليل. فعَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا أَعْزَبَ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي المَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ البِئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي: لَنْ تُرَاعَ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عبداللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ**» قَالَ سَالِمٌ: «**فَكَانَ عبداللَّهِ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلا قَلِيلا**»(١). وهذا هو أساس التربية الناجحة.

وكان -عليه الصلاة والسلام- أحيانًا يجمع أهل بيت الصبيّ الصغير؛ ليصلي بهم ويشاركهم التعبّد جماعيًّا؛ كما في الحديث الصحيح عند البخاري من حديث الغلام أنس بن مالك ﷺ يحكي: أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «**قُومُوا فَلِأُصَلِّ لَكُمْ**» قَالَ أَنَسٌ: **فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا، قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَفَفْتُ وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ، وَالعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ**(٢). وحريٌّ بالآباء والأمهات مشاركة أبنائهم في العبادة وتشجيعهم على المحافظة

(١) صحيح البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عبداللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حديث رقم (٣٧٣٨)، و (٣٧٣٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، بَابُ الصَّلاَةِ عَلَى الحَصِيرِ، حديث رقم (٣٨٠). وقد بوّب البخاري لهذا الحديث في موضع آخر من صحيحه، في كتاب الأذان، تحت عنوان (بَابُ وُضُوءِ الصِّبْيَانِ، وَمَتَى يَجِبُ عَلَيْهِمُ الغُسْلُ وَالطُّهُورُ، وَحُضُورِهِمُ الجَمَاعَةَ وَالعِيدَيْنِ وَالجَنَائِزَ، وَصُفُوفِهِم).

المستمرة على صلواتهم لله تعالى؛ فإن إخراج جيل عابدٍ لربّه، فاهم لدينه من المقاصد الكبرى والأهداف العظمى لبناء الأُمة والأوطان والحفاظ على الحُرُمات.

ومنها كذلك التشجيع على ممارسة الدعوة: فقد ولّى رسول الله بعض الشباب في حمل رسالة الدعوة إلى غيرهم من الأقطار والبُلدان، وتلك نماذج عملية من تربية النبيّ ﷺ لبعض الشباب والصبية على تحمل مسؤولية الدعوة والصبر في سبيلها:

١. **توجيه سيدنا معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن:** ففي الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**»[(١)]. واختيار معاذ خاصّة لأنّه كان يحمل طاقة ومهارة كفيلة تعينه على أداء هذا التكليف الثقيل، لذا فقد قُدِّم على غيره من أقرانه في دعوة الناس وهدايتهم إلى ربهم ﷻ.

٢. **بعث سيدنا مصعب بن عمير ﷺ إلى المدينة المنورة:** فحين بايع الأوس والخزرج في بيعة العقبة الأولى، قبل هجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة، أرادوا من يعلمهم أمور الدين والتعبّد، ويدرّس لهم الفقه وأحكامه، وحُقّ لمصعب الخير ﷺ أن يكون هو الشخص المناسب لهذا الغرض؛ فهو الثري الذي ترك ثراءه من أجل الدين، وهو قادمٌ بعد قليل على أثرياء العرب، فهو ﷺ قدوة لهم في هذا، كما أنه ﷺ صاحب الخبرة الدعويّة ففي هجرته ﷺ إلى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما–: كتاب الزكاة، بَابُ لاَ تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ، حديث رقم (١٤٥٨).

الحبشة تعلّم ومارس الدعوة وفقهها من صحبته لجعفر بن أبي طالب ﷺ. يحكي ابن هشام في سيرته: (قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القوم، بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة: مصعب...)[(١)].

٣. **إرسال سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ إلى يهود خيبر**: ففي الحديث المتفق عليه من حديث سهل بن سعد ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ». فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ». فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[(٢)]. ولا شكّ أن مثل تلك الكلمات هي تشجيع وتحميس وتحفيز لنفسية الشاب المقبل على الدعوة والإرشاد للغير.

ومن آثار تلك التربية التعبدية، ما يأتي:

(١) السيرة النبوية لابن هشام: عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المَتَوَفَّى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخران، ج١، ص٤٣٤، ط٢/ ١٣٧٥هـ= ١٩٥٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٢) صحيح البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (٣٧٠١). وصحيح مسلم: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم (٢٤٠٦).

١. **مجاهدة النفس في تحقيق ما أمر الله تعالى:** فالعبادات التي جعلته يقف بين يدي الله تعالى خمس مرات في اليوم والليلة، والصيام الذي امتنع من خلاله عن الطعام والشراب والمباحات بإرادته واختياره، وكذا باقي أمور التعبد، كل هذا كفيل بأن يجعله وقّافًا عند حدود ربه ﷻ، ففي ذلك كله تربية للإرادة على ترك الرذائل والتحلي بالفضائل.

٢. **تربية الأبناء على قيم التعاون والانضباط والنظام:** ومن ثمرات تلك التربية: احترام النظام والانضباط بضوابط المجتمع وقيمه، وممارسة وشعور. وعبادات هذه الأمّة ليست أركانا تؤدَّى أو حركات تُبْذَل فحسب؛ بل هي عبادات جماعية تُخرِّج جيلا من البشر يحترمون النظام، وينضبطون بضوابط المجتمع وقيمه، ويمارسون التعاون في سلوكياتهم وأعمالهم المجتمعية، ويشعر فيهم القادر بغير القادر، والصحيح بالمريض، والقوي بالضعيف.

٣. **تربية الأبناء على الأخلاق الفاضلة:** فكما أنّ العبادات صلة بين العبد وربه، فإن لها ثمرات أخلاقية، ذاتية وجماعية.

الأساس الثالث:

الدعاء للأولاد بالهداية وصلاح الحال

لقد كان من أساسيات التربية النبوية الإكثار من الدعاء للأولاد لا الدعاء عليهم؛ فقد نهى النبيّ ﷺ عن الدعاء عليهم، فقال: **«لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»**(١). وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **"ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ"**(٢).

فبعض الآباء والأمهات يدعون على أبنائهم بالهدم والخيبة والخسارة والدمار والفشل، ثم يأتون فيشكون من عقوق الأبناء. **وقد جاء رجل إلى عبدالله بن المبارك فشكا إليه عقوق بعض ولده. فقال: هل دعوت عليه؟ قال: نعم. قال أنت أفسدته**(٣). ولذا فإنَّ الدعاء بالخير للأولاد فيه لجوء إلى الله واستعانة به ﷻ، كما أن في الدعاء دليلا على أنّ القلوب بيد الله تعالى، وأن قلوب الأبناء قد تتغير بالدعاء لهم.

ومن نماذج دعائه ﷺ للأولاد ما يأتي:

١. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: **«اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ»**(٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزّهد والرقائق، بَابُ حَدِيثِ جَابِرٍ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسَرِ، حديث رقم (٣٠٠٩).

(٢) سنن ابن ماجه: أَبْوَابُ الدُّعَاءِ، بَابُ دَعْوَةِ الْوَالِدِ وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، حديث رقم (٣٨٦٢)، وقال شعيب الأرنؤوط في التحقيق: (حسن لغيره).

(٣) إحياء علوم الدين: ج٢، ص٢١٧ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ»، حديث رقم (٧٥).

٢. عن البَرَاء ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ**»[(١)].

٣. عَنْ أَنَسٍ ﷺ، دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: «أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ» ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَصَلَّى غَيْرَ المَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَةً، قَالَ: «مَا هِيَ؟»، قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلاَ دُنْيَا إِلا دَعَا لِي بِهِ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ**»، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ[(٢)].

فلو أنَّ الآباء اختصّوا أبناءهم وبناتهم بدعوات صالحات في سجودهم بين يدي ربهم سبحانه لكان خيرًا لهم ولأبنائهم، وبدلا من كلمات الدعاء بالهدم والخسارة، تكون كلمات الدعاء الذي يبني ويطلب الرشاد والهُدى للأولاد؛ أملا في هداية الولد وطلبًا من الله تعالى وطمعًا فيما لدى المولى من كرامات وعطاءات.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ح(٣٧٤٩).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصوم، بَابُ مَنْ زَارَ قَوْمًا فَلَمْ يُفْطِرْ عِنْدَهُمْ، حديث رقم (١٩٨٢).

ثانياً: الأسس النفسية والوجدانية

الأساس الأول:

التصريح بالمحبة قولا وسلوكًا وإشعار الأبناء بأهميتهم لدى المُرَبِّي

إنَّ بذل المحبة والتصريح بها للأولاد فيه تقوية لأواصرِ الصِّلة والقرب معهم، وسبيل لزيادة الثقة والإحساس بالأمان. وقد كان النبي ﷺ يحمل في صدره عاطفةً صادقةً نحو الأبناء، وفي أكثر من موقف تربوي في حياة الرسول ﷺ نجده عليه السلام ينوّع أساليبه التربوية في إعلان محبته للغلمان والصبيان، **ومن ذلك ما يأتي:**

١. **التصريح بالمحبة لمن يحبّ من الغلمان:** كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث يحكي لنا بنفسه قائلا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِي يَوْمًا، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**» فَقَالَ مُعَاذٌ: **بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ**، فَقَالَ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"[(١)] وفي هذا دليل على أنّ التصريح بالمحبة للمُرَبَّى سبب لتغيره إلى الأفضل وسعيه إلى إرضاء من يحبّ؛ فقد ثبت في باقي الرواية أنّ مُعاذًا رضي الله عنه علّم مَن خلفه ذلك وسار عليه. وفي رواية تُظهر عِظم المحبة الوالدية، من حديث البخاري عن البراء أنه قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ**»[(٢)]. وفي لفظ آخر عند البخاري -أيضًا- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ المَدِينَةِ، فَانْصَرَفَ

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: كتاب الطهارة، أَمَّا حَدِيثُ عبدالرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، حديث رقم (١٠١٠)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

(٢) صحيح البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حديث رقم(٣٧٤٩).

فَانْصَرَفْتُ، فَقَالَ: «أَيْنَ لُكَعُ – ثَلاَثًا – ادْعُ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ». فَقَامَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي وَفِي عُنُقِهِ السِّخَابُ[(١)]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَالْتَزَمَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ» وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ[(٢)] واستجابة أبي هريرة لإعلان محبته للحسن ﷺ دليل على قيمة أن يُعلِن المربي محبته لمن يربيه. وثبت عند البخاري في الصحيح أنّ النبيّ ﷺ كان يقول لِجَعْفَرٍ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»، وَكان يقول لِزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا»[(٣)]. وكان يقول لعقيل بن أبي طالب: ((يَا أَبَا يَزِيدَ: «إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبًّا لِقَرَابَتِكَ مِنِّي، وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ»))[(٤)].

٢. **الأمر المباشر بالرحمة مع الأبناء:** فعن عبدالرحمن بن الحرث عِن عمرِو بن شُعَيب عِن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: **"ليس منَّا من لم يَرْحَمْ صغيرَنا، ويعْرِفْ حَقَّ كبيرِنا"**[(٥)]. وما كانت الرحمة من الكبير على الصغير إلا محبة له، وتقديرًا لذاته.

---

(١) يقول ابن الأثير: السّخاب هُوَ خَيطٌ يُنْظم فِيهِ خَرَز ويلْبَسه الصِّبيان والجَوَاري. وَقِيلَ هُوَ قِلادَة تُتَّخذ مِنْ قَرَنفُل ومَحْلب وَسُكٍ وَنَحْوِهِ، وَلَيْسَ فِيهَا مِنَ اللُّؤْلؤ وَالْجَوْهَرِ شيءٌ. [النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص٣٤٩ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ)].

(٢) صحيح البخاري: كتاب اللباس، بَابُ السِّخَابِ لِلصِّبْيَانِ، حديث رقم (٥٨٨٤).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الصُّلْح، بَابٌ: كَيْفَ يُكْتَبُ هَذَا: مَا صَالَحَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَفُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَإِنْ لَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى قَبِيلَتِهِ أَوْ نَسَبِهِ، حديث رقم (٢٦٩٩).

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم: كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذِكْرُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم(٦٤٦٤).

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المَتَوَفَّى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، أول مسند عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، حديث رقم (٦٧٣٣)، ط١/ ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م، دار الحديث- القاهرة. وقال عنه الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

٣. **امتداح الأبناء وإشعارهم بأهميتهم:** ففي صحيح البخاري من حديث ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا لابْنِ عُمَرَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ البَعُوضِ، فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ البَعُوضِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا**»[(١)]. **يقول ابن حجر:** (والمعنى أنهما مما أكرمني الله وحباني به لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين وقوله من الدنيا أي نصيبي من الريحان الدنيوي)[(٢)].

٤. **التحذير من السبّ أو العبوس أو الضرب؛** فكل ذلك مما نهى عنه الشّرع الحنيف: فالناظر في هدْي النبيّ ﷺ في تعامله مع أنس بن مالك ﷺ وهو خادمه يرى عجبًا وفوائد تربوية كثيرة، فقد قال أنس ﷺ: "خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ، فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: **لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟** وَلا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ"[(٣)]. وفي هذا دليلٌ على أنّ تحاشي العتاب المستمر يُزهر محبة بين الأب وولده، وفي ذلك احترام لبشريته. فالأب مُطالَبٌ بأن يكون صاحب مشاعر وعاطفة تُترجم إلى سلوكيات وممارسات تعبّر عن الحبّ تجاه الأبناء والبنات، مثل التقبيل والعناق وإلقاء السلام على الأبناء. وكل ذلك له دلائله من سيرة النبيّ ﷺ وسنّته الشريفة.

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَابُ رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ، حديث رقم (٥٩٩٤).
(٢) فتح الباري لابن حجر: ج١٠، ص٤٢٧. (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).
(٣) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَابُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، حديث رقم (٢٣٠٩).

الأساس الثاني:

منح الثقة للأولاد والصبيان

إنَّ من بين أهمّ أُسس التربية النبويّة منح الأطفال الثقة بأنفسهم؛ فإنّ إشعار الأبناء بالثقة سبيل تأمين لهم في الحاضر والمستقبل، وقد ثبت في السنة النبوية أن النبيّ ﷺ كان شديد الحرص على زرع الثقة في نفوس الأبناء والصبيان، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١. **الرسول ﷺ يستشير الصبي في أمر سقيا شيوخ القوم** –زرعًا للثقة بنفسه، وإشعارًا بأهميته–، روى الإمام البخاري ɘ في صحيحه من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ؟»، فَقَالَ الغُلاَمُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ[(١)] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ[(٢)]. فاستئذان النبيّ ﷺ –مع علو مكانته– من صبيّ وغلام صغير تقدير لذاته، كما مارسها رسول الله ﷺ، فضلاً عن أنه أعطى الغلام حقّه في الاستشارة والردّ، ولم يزجره ﷺ.

٢. **مرافقة الصبيان في المجالس ومرافقتهم في الجلسات الاجتماعية خاصّة**، وقد رأينا موقف عمر مع ولده عبدالله يوم سأل النبيّ ﷺ سؤالا، عرف ابن عمر الإجابة عليه دون الكبار من الصحابة، فحفّز همّته ودعم الثقة بنفسه وشجّعه، ففي الحديث عن عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما– حين سأل النبيّ ﷺ أصحابه عن شبيه المسلم من أنواع الشجر،

(١) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر: ج١، ص١٩٥ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ): التَلّ هو الصَّب، فَاسْتَعَارَهُ للإلْقاء. يُقَالُ تَلَّ يَتُلُّ إِذَا صَبَّ، وتَلَّ يَتِلُّ إِذَا سَقَط، ومعنى تلّه رسول الله في يده، أي: ألقاه.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب إِذَا أَذِنَ لَهُ أَوْ أَحَلَّهُ، وَلَمْ يُبَيِّنْ كَمْ هُوَ، حديث رقم (٢٤٥١).

فوقع في نفسه أنها النخلة، وقال ابن عمر: **فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ، قَالَ: لأَنْ تَكُونَ قُلْتَ: هِيَ النَّخْلَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا**[(١)].. ويتضح لنا أن النبيّ ﷺ ما كان يُمانِع أبدًا أن يجلس الصغار في مجالس الكبار، بل كان يسأل ويُحاوِر أصحابه بدخول الصغار إلى مجالسهم.

يقول الإمام النووي في شرحه لصحيح الإمام مسلم: (...وفي هذا الحديث فوائد: منها، استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم ويرغبهم في الفكر والاعتناء وفيه ضرب الأمثال والأشباه وفيه توقير الكبار كما فعل بن عمر لكن إذا لم يعرف الكبار المسألة فينبغي للصغير الذي يعرفها أن يقولها وفيه سرور الإنسان بنجابة ولده وحسن فهمه.. وقول عمر ﷺ: "لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي" أراد بذلك: أن النبي ﷺ كان يدعو لابنه ويعلم حُسن فهمه ونجابته..)[(٢)]. وقد استفاد الصالحون من أدب النبوّة في اصطحاب الصبيان إلى مجالس العلم، والاستبشار بأخذهم العلم، فقد روى الخطيب البغدادي عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، أَنَّ الْحَسَنَ البصري –رحمه الله–، قَالَ: «**قَدِّمُوا إِلَيْنَا أَحْدَاثَكُمْ، فَإِنَّهُمْ أَفْرَغُ قُلُوبًا، وَأَحْفَظُ لِمَا سَمِعُوا، فَمَنْ أَرَادَ اللهَ أَنْ يُتِمَّهُ لَهُ أَتَمَّهُ**»[(٣)]. وهكذا وعى كبار التابعين ومن سبقهم من كبار الصحابة هذا الدرس النبوي في الحرص على اصطحاب الأطفال دروس العلم وتشجيعهم؛ دعمًا للثقة بأنفسهم، وتشجيعا لهم على خدمة الإسلام والمسلمين، ونفع الآخرين.

٣. **الدعاء للصبيّ:** ويدلل على تلك الوسيلة فعل ابن عباس يوم وضع الماء

(١) صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَابُ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، حديث رقم (٢٨١١).
(٢) شرح النووي على مسلم: ج١٧، ص١٥٤. (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ج١، ص٣١١ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

للرسول ﷺ ليتوضّأ؛ ففي الحديث عند البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ: (مَنْ وَضَعَ هَذَا؟) فَأُخْبِرَ. فَقَالَ: (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)[(١)]. **يقول ابن حجر في فتح الباري: (**قال التيمي: فيه استحباب المكافأة[(٢)] بالدعاء، وقال ابن المنير: مناسبة الدعاء لابن عباس بالتفقّه على وضعه الماء من جهة أنه تردَّد بين ثلاثة أمور: إما أن يدخل إليه بالماء إلى الخلاء، أو يضعه على الباب ليتناوله من قرب، أو لا يفعل شيئا. فرأى الثاني أوفق؛ لأن في الأول تعرضًا للاطلاع، والثالث يستدعي مشقة في طلب الماء، والثاني أسهلها... فَفِعْله يدلّ على ذكائه فناسب أن يدعي له بالتفقه في الدين ليحصل به النفع وكذا كان..)[(٣)]. فدعم الثقة من جهة المربي أدب وخلق رفيع يحتاج إليه المربون؛ فإنه يحرّك العزيمة ويمضيها نحو الخير.

٤. **تولية الأبناء مسؤولياتٍ تناسب طاقاتهم ومهاراتهم وكفاءاتهم:** ففي ذلك أكبر الأثر على نفسية الأطفال. والناظر إلى سيرة النبيّ ﷺ وهدْيه الشريف في توظيف الشباب في الوظائف في زمنه، يرى أنّه كلّف أسامة بن زيد –وهو صبي صغير وكان صاحب مهارة عسكرية فائقة– قيادة الجند في بعثه له إلى الروم قبل وفاته عليه السلام. كما أمر معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يؤمّ المسلمين في الصلاة، وأرسل مصعب –الشاب صاحب الخبرة في الدعوة– إلى المدينة المنورة معلمًا ومؤدِّبًا، وزيد بن ثابت الأنصاري

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، بَابُ وَضْعِ الماءِ عِنْدَ الخَلاَءِ، حديث رقم (١٤٣).

(٢) إنّ المكافأة المادية أو المعنوية التي تقدَّم للأولاد ينبغي أن تكون عقب قيامهم بالعمل المحمود مباشرة؛ لأن الابن يربط في ذهنه آنذاك بين الفعل الحسن والمكافأة على نحو سهل، وهذا يؤدّي إلى تحفيزه على تكرار العمل الصالح؛ فيصير جزءًا من سمته وخُلُقه وسلوكه. وإعطاء الابن مكافأته مع قيامه بالعمل مباشرة يُحمل على إعطاء الأجير حقه قبل أن يجفّ عرقه إذا صحّ التشبيه.

(٣) فتح الباري لابن حجر: ج١، ص٢٤٥ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

يكلفه بتعلّم لغة أجنبية فأجادها وأنجز تعلمها بمهارة ونبوغ فائقيْن، حتى كلّفه بما هو أشرف، وهو كتابة الوحي الشريف.

الأساس الثالث:

التشجيع والتحفيز الذاتي

ويعدّ التشجيع التربوي للأولاد من أساسيات التربية النبوية للأولاد؛ فلقد كانت حماسة الشباب تزداد مع التشجيع النبوي لهم، ربما لو انتبه آباء وأمهات اليوم إلى هذا الأساس لاستطاعوا حلّ كثير من المشكلات التربوية، فلا زلنا في واقعنا اليوم نسمع عن تثبيط الهمم في نفوس الأبناء، من إطلاق ألفاظ الغباء والفشل والبهيمية والبلادة على الأبناء والبنات، مما يجعلهم في صراع داخلي: هل هو غبي بالفعل كما شهد الأب وشهدت الأم؟ أم أنه ذكيّ لكن لا يستطيع أن يعبّر عن نفسه أمامهم وأمام المجتمع.

وإذا عُدنا إلى المنهج النبوي الكريم في التربية نراه ﷺ يشجّع ويحفّز الشباب، ومن بين الصور التشجيعية التي كان يقوم بها النبيّ ﷺ في تربيته، ما يأتي:

١. **تشجيع المبادرات والأفكار الراقية الخادمة للبشر وللمجتمع:** كتشجيعه ﷺ لفكرة سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه يوم الخندق، واستحسنها رسولنا ﷺ، وقام يشارك ﷺ بنفسه مع أصحابه رضي الله عنهم في حفر الخندق يوم الأحزاب[(١)].

٢. **تشجيع المهارات العلمية والتعليمية:** كتحفيزه ﷺ لزيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، يوم أن طلبَ إليه أن يتعلّم اللغة السريانية، ففي الحديث عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا رضي الله عنه، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ

(١) راجع: فتح الباري لابن حجر: قوله باب غزوة الخندق، ج٧، ص٣٩٢، ٣٩٣ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ: "يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي" قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ"[(١)]. ففي هذا الحديث نراه ﷺ قد شجّع زيدًا بن ثابت ﷺ وحفّز همّته، فأنتج خيرًا كبيرًا.

٣. **الثناء باللفظ والكلمة المشجعة بديلا عن الكلمات المُحبطة:** كألفاظ (نِعْمَ الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)[(٢)]، وألفاظ: (ما ظننت أن يسألني أحد أوّل منك)[(٣)] قالها لأبي هريرة ﷺ. وكمثل ثنائه على أُبيّ بن كعب ﷺ، فحين سأله: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يقول سيدنا أُبيّ بن كعب ﷺ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»[(٤)]. أي: فلتهنأ بالعلم، وليهنأ بك العلم. يقول الإمام النووي –رحمه الله–: وفي الحديث (منقبة عظيمة لأُبيّ ﷺ ودليل على كثرة علمه، وفيه تبجيل العالم فضلاء أصحابه وتكنيتهم، وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة ولم يخف عليه

(١) مسند أحمد: مسند الأنصار، حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم (٢١٦١٨)، وقال عنه الشيخ الأرنؤوط: (إسناده حسن).

(٢) صحيح البخاري: كتاب التهجد، بَابُ فَضْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ، حديث رقم (١١٢١، ١١٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح من حديث أبي هريرة، صحيح البخاري: كتاب العلم، بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ، حديث رقم (٩٩).

(٤) صحيح مسلم: كِتَابُ صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، حديث رقم (٢٥٨).

إعجاب ونحوه لكمال نفسه ورسُوخه في التقوى)[١]. ومثل ثنائه ﷺ على الأشعريين؛ ففي الحديث عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ، إِذَا لَقِيَ الخَيْلَ، أَوْ قَالَ: العَدُوَّ، قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ"[٢]. وكم يتخيّل القارئ ويتصوّر حجم الإيجابية النفسية والحركية التي يمكن أن تلحق بأمثال الأشعريين حين يسمعون تلك الشهادة الكفيلة ببث الثقة والهمّة العالية في النفوس. وهذا شأن المربي الناجح في تربيته لأبنائه ولمن جَاوَرَهُ مِن الخَلْق.

٤. **تولية الشَّباب مناصب قيادية ودعوية:** كاستعماله عليًّا رضي الله عنه على سريّة[٣]، واستعماله حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه -وكان أحد الشبان الصغار- على سريّة أخرى، واستعماله الشباب في الدعوة إلى الله، كمعاذ بن جبل رضي الله عنه؛ حين أرسله لليمن، ومصعب الخير بن عمير رضي الله عنه حين أرسله إلى المدينة قبل ذلك.

(١) شرح الإمام النووي على مسلم: ج٦، ص٩٣ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الغزوات والسير، بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، حديث رقم (٤٢٣٢).

(٣) أخرج الترمذي في سننه: أبواب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُقَالُ وَلَهُ كُنْيَتَانِ: أَبُو تُرَابٍ، وَأَبُو الْحَسَنِ، حديث رقم (٣٧١٢)، من حديث عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ،.... وقال عنه الترمذي: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) وفي التحقيق: أنه صحيح.

الأساس الرابع:

التوازن في علاج أخطاء الأبناء

الأبناء في كل الأحوال هم بشر كباقي البشر؛ يخطئون ويصيبون، وقد أكّد النبيّ ﷺ في حديثه على أن كل بني آدم يخطئون، فقال عليه الصلاة والسلام: "**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**"(١). وأخطاء الأبناء ليست أمراضًا؛ بل هي أعراضٌ نتجَت عن سوء تعامل تربوي معهم. فالمشكلة في عالم التربية ليست في خطأ الأبناء؛ فربما يستفيد الأبناء والآباء من الأخطاء أكثر مما يستفيدون من الإصابة، لكنّ المشكلة في طريقة علاج الأخطاء. وقد يُصاب الأبناء بإحساس سلبيّ إذا وقعوا في الخطأ، وحينها يحتاج الأبناء إلى مُعينٍ ومُسانِد وداعمٍ لهم أكثر مما يحتاجون إلى مُعاتِبٍ أو مُبالِغ في علاج الخطأ.

وإنَّ لجوء الأبناء إلى السلوكيات الخاطئة تعني افتقارهم إلى الأمان أو التقدير أو الإحساس بالذات، فضلا عن أنه يكون نتيجة طبيعية للإهمال التربوي أو الخطأ عند التعامل مع السلوك الخاطئ، والعجيب أن بباطن كل سلوك سلبيّ لدى الأبناء موهبة وطاقة إيجابية، يمكن للمُربّي أن يعمل على اكتشافها وتنميتها. وهنا يأتي الهدي النبوي الكريم في علاج أخطاء الأبناء؛ حيث كان النبيّ ﷺ ينوّع وسائل العلاج للأخطاء، وذلك على النحو التالي:

١. **النصيحة والموعظة بهدوء** –فإن استجاب الولد فبها ونعمت، وإن لم يكن فعليه وسيرى عاقبة أمره– بلا ضرب أو إهانة أو تقليل من شأن الابن: ففي موقف عبدالله بن عمرو بن العاص لمّا شدّد على نفسه في التعبّد والصيام ما يدل على ذلك؛ فقد شكاه والده سيدنا عمرو بن

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة ﷺ: أبواب الزّهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥١) وقال عنه في التحقيق: (إسناده حسن).

العاص ﷺ إلى سيدنا رسول الله ﷺ؛ ففي الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَبْدَاللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَلاَ تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ»، فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً قَالَ: «فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَلاَ تَزِدْ عَلَيْهِ»، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ؟ قَالَ: «نِصْفَ الدَّهْرِ»، فَكَانَ عبدالله يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ ﷺ[(١)]. ورسول الله ﷺ هنا ذكّره برعاية ما عليه من حقوق، ولا يجعل من عبادته ورغباته في الازدياد سببًا لتضييع حقوق أخرى.

٢. **الشدّة والغِلْظة أحيانًا:** ومثال ذلك أنه لما أخطأ أسامة بن زيد بقتل الرجل في المعركة، أغلظ عليه القول. ففي الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أسامة بن زيد، قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ[(٢)] مِنْ جُهَيْنَةَ[(٣)]، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لا إِلَهَ

(١) أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، حديث رقم (١٩٧٥).

(٢) أي: أتيناهم صباحا، والحُرَقات موضع ببلاد جهينة. قاله أ/ محمد فؤاد عبدالباقي في شرحه لصحيح مسلم في هامش صحيح مسلم: ج١، ص٩٦.

(٣) يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: (جُهَيْنَةُ: بلفظ التصغير، وهو علم مرتجل في اسم أبي قبيلة من قضاعة: وسمي به قرية كبيرة من نواحي الموصل على دجلة -بالعراق-، وهي أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل، وعندها مرج يقال له مرج جهينة..) [معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (المتَوَفَّ: ٦٢٦هـ)، ج٢، ص١٩٤، ط٢/ ١٩٩٥م، دار صادر، بيروت].

إلا اللهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَقَالَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ،..[(١)]. ورغم كل هذا وجدناه ﷺ يقوم بتوليته جيش الروم قبل وفاته عليه الصلاة والسلام. فعند علاج الأخطاء يعالج السلوك لتقويم الابن لا لكسره أو تدميره.

٣. **كسر الحاجز النفسي لدى الأبناء وإعطاء فرصة للحوار العقلي:** ولا شك أنّ كل واحدٍ من البشر فيه خير، لكنه يحتاج إلى من يُخرج هذا الخير منه ليطفو على سطح العلاقات الإنسانية والسلوكية، فلا بدّ من تفهّم طبيعة الابن قبل علاج خطئه: هل فعله متعمّدًا؟ أم أنه ضعُفت نفسه فوقع فيما وقع فيه؟ وهل يريد العودة والتوبة أم ماذا؟. ولعل موقف الشاب الذي أراد الزنا يعبّر عن المعنى المطلوب؛ فقد أدناه منه النبيّ ﷺ حين أراد تصويب الخطأ، وقال: ادن مني، ثم حاوره عقلا كما سبق بيان الحديث بتفاصيله، ثم عاد الشاب وليس أكره إلى قلبه من الزّنا.

٤. **تنويع الوسائل التربوية والتعليمية المستخدمة في علاج الأخطاء** والدلالة على الصواب من القول والسلوك: فقد كان النبيّ ﷺ ينوّع وسائله التربوية في التربية والتعليم، ومنها: (الرسم على الأرض للوصول لقيمة أو هدفٍ ما، الإشارة باليد لتوضيح ما أُشْكِل ولتقريب الصورة للذهن مع الكلام، والتعليم المباشر للأولاد من خلال استخدام إشارة يد المتعلّم، ....).

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، حديث رقم (٩٦).

٥. **التغافل أحيانا والستر على الابن عند الخطأ وعدم الفضيحة له:**

معلوم أنّ النفس البشرية تكره من يفضحها ويُفشي أمرها بين الناس، فكيف بالأبناء الصغار، الذي يتوقّعون من أهاليهم الستر عليهم عند الخطأ، ولا يعني هذا أن يقبل الأب بالأخطاء ويسكت عن علاجها، وإنما التغافل مع الستر عند تكرار الخطأ، مع إيقاع العقوبة المناسبة المتوازِنة، لذا يقول الإمام المُرَبّي أبو حامد الغزالي: (...فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة، فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه... ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه؛ فإنَّ إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغي أن يُعَاتَب سرًّا، ويعظم الأمر فيه، ويقال له: إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا)[١].

(١) إحياء علوم الدين: ج٣، ص٢١٧ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

الأساس الخامس:

مراعاة النفسية والاحتياجات العاطفية للأبناء

إنَّ مراعاة النفسية من المربي نحو من يربيه مطلب من مطالب الفطرة السويّة؛ فإن النفس تحتاج لذلك لأنها طُبِعَت عليه. ولأهمية مراعاة نفسية الشباب والفتيات عمل النبيّ ﷺ على تلبية الدوافع النفسية لهم بما يُباح ويُشْرَع، وأمثلة ذلك كثيرة، منها ما يأتي:

١. **أنه عليه الصلاة والسلام أرشد الشباب إلى صيانة الدافع الجنسي** – وهو أحد الاحتياجات الفطرية للإنسان الطبيعي– وحثّ القادر منهم على الارتباط العاطفي والزواج الشرعي، بقوله: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[(١)] وفي ذلك مراعاة لاحتياجات الشباب النفسية والعاطفية، وينبغي على أولياء الأمور في البيوت العمل على تيسير الزواج؛ رغبة في تأمين شبابنا وبناتنا من الانحراف.

٢. **مراعاة الاحتياج إلى ممارسة اللهو المُبَاح ومشاهدته أحيانًا:** وقد رأينا رسول الله ﷺ يُعطي أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– قدرًا من المراعاة لاحتياجها –وهي صغيرة السنّ– إلى أن تشاهد الأحباش وهم يلعبون بالعُصيّ في مسجد رسول الله ﷺ؛ ففي الحديث: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "**كَانَ الحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ»، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، تَسْمَعُ اللَّهْوَ**"[(٢)]. وليس

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، لأَنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ» وَهَلْ يَتَزَوَّجُ مَنْ لاَ أَرَبَ لَهُ فِي النِّكَاحِ"، حديث رقم (٥٠٦٥).

(٢) صحيح البخاري: كتاب النكاح، بَابُ حُسْنِ المُعَاشَرَةِ مَعَ الأَهْلِ، حديث رقم (٥١٩٠).

بعجيب على هدي النبي أن يسمح بهذا أو أن يمنع امرأته الشابة الصغيرة من الاستمتاع بالمشاهدة للهو المُباح. يقول ابن حجر: (...**وقولها اقدُروا بضم الدال من التقدير ويجوز كسرها، وأشارت بذلك إلى أنها كانت حينئذ شابة**)[(١)].

٣. **مراعاة حقوق العلاقات الإنسانية وضوابطها:** بحيث لا يخاصم الشاب أخاه أو يهجر زميله إلا لضرورة، وقد راعى نبينا المصطفى ﷺ ذلك بإباحة الهُجران دون ثلاثة أيام؛ ففي الحديث عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ**»[(٢)]. وتلك هي الواقعيَّة التربوية أنه لم يُحرّم ولم يُجرّم ما تنفعل به النفس مع مَن آذاها، لكنه حدّد زمنًا للهجر دون التطويل فيه.

(١) فتح الباري لابن حجر: ج٢، ص٤٤٥. (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الأدب، بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ، حديث رقم (٦٠٦٥) ورواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ، حديث رقم (٢٥٥٨).

الأساس السادس:

استخدام رسائل التأنيس والطمأنينة

كان النبيّ ﷺ يهتمّ برسائل الطمأنينة النفسية ووسائل توثيق الصّلة مع الأبناء في مقام التربية والتعليم، وتعددت وسائله عليه الصلاة والسلام بحسب واقع الأبناء، باختلاف المرحلة العمرية، أو الرصيد الثقافي، أو العادات البيئية، **ومن أهمّ الوسائل التي استخدمها النبيّ ﷺ كرسائل طمأنينة لنفسية الأبناء ما يلي:**

١. **الملامسة البدنيّة المُعبِّرة:** كالأخذ باليد، والاحتضان والمعانقة، والمصافحة، ووضع الكفّ بالكفّ، والمسح على الرأس، والتقبيل، كلها وسائل اتصال **بدنية** تعبّر عن الطمأنينة والمحبّة، مما تَتْرُكُ معه أثرًا كبيرًا في نفسية الأبناء، وتلك ثُلّة من أحاديث رسول الله في تواصله البدني مع بعض الشباب أثمرت منهم علماء ودعاة وقادة، ومنها ما ورد في الحديث عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْكِبِي**، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»[(١)].

وعن ابن مَسْعُودٍ ﷺ، قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ الله ﷺ، **وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ**، التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ: «**التَّحِيَّاتُ لِله، وَالصَّلَوَاتُ**

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، حديث رقم (٦٤١٦). ويقول ابن حجر في الفتح: [وفي الحديث: مسّ المعلم أعضاء المتعلم عند التعليم والموعوظ عند الموعظة، وذلك للتأنيس والتنبيه ولا يفعل ذلك غالبا إلا بمن يميل إليه وفيه مخاطبة الواحد وإرادة الجمع وحرص النبي ﷺ على إيصال الخير لأمته والحض على ترك الدنيا والاقتصار على ما لا بد منه] [انظر: فتح الباري لابن حجر: ج١١، ص٢٣٥ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ)].

وَالطَّيِّبَاتُ،.....»[(١)]. وحين علّم الرسول ﷺ الغلام أبا محذورة –مؤذّن الرسول ﷺ– الأذان، مسح على مقدّمة رأسه[(٢)]. وكل ذلك يدعو الآباء والأمّهات إلى إظهار صور الحب والملامسة لأبنائهم وبناتهم..

ولذا كان حرص الرسول ﷺ على تقبيل أبنائه وبناته، ومما ثبت أنّه كان يُقبّل السيدة فاطمة الزهراء –رضوان الله عليها– بين عينيها، وكان لذلك أبلغ الأثر في نفسيتها وإعدادها التربوي النّاجح؛ ففي الحديث: عن أُمِّ المؤمنين عائشةَ، أنها قالت: ما رأيتُ أحَداً كان أشْبَهَ سَمْتاً وهَدْياً ودَلا برسولِ الله ﷺ مِن فاطمةَ، **كانت إذا دَخَلَتْ عليه قام إليها، فأخذ بيدها، وقبَّلَهَا، وأجلسَها في مجلسه**، وكان إذا دَخَلَ عليها قامَتْ إليه فأخذتْ بيدِه فقبَّلَتْه، وأجلسَتْه في مَجْلِسها[(٣)].

وكان ﷺ يقبّل الصبيان والغلمان؛ رحمة وشفقة بهم، فقد ثبت أنه كان يقبّل الحسن والحسين، وإبراهيم، وابنته فاطمة، وهذا حديث في تقبيله ولده إبراهيم. وفيه **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عبدالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»،**

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، بَابُ التَّشهُّدِ فِي الصَّلاةِ، حديث رقم (٤٠٢) وأخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، بَابُ الأَخْذِ بِاليَدَيْنِ، حديث رقم (٦٢٦٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكيين، أَبُو مَحْذُورَةَ الْمُؤَذِّنِ، حديث رقم (١٥٣٧٩). والحديث صحيح. وفي الحديث أن أبا محذورة قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي سُنَّةَ الْأَذَانِ، فَمَسَحَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِي، وَقَالَ: " قُلْ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، تَرْفَعُ بِهَا صَوْتَكَ..... إلى آخر الحديث.

(٣) سنن أبي داود: أبواب النوم، باب في القيام، حديث رقم (٥٢١٧) وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في التحقيق: (إسناده صحيح).

ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[(١)].

وكان عليه الصلاة والسلام يذهب لزيارة ابنته فاطمة –خصيصًا– ليقبّل حفيده الحسن ويعانقه[(٢)]. ويحكي جابر بن سمرة ﷺ يقول: "**صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الأُولَى**[(٣)]**، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ**[(٤)]**، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ**[(٥)]"[(٦)].

يقول الإمام النووي ɜ: (وفي مَسْحِه ﷺ الصبيان بيان حُسن خلقه ورحمته

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»، حديث رقم (١٣٠٣).

(٢) كما في حديث مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ، لا يُكَلِّمُنِي وَلا أُكَلِّمُهُ، حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، حَتَّى أَتَى خِبَاءَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «أَثَمَّ لُكَعُ؟ أَثَمَّ لُكَعُ؟» يَعْنِي حَسَنًا فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لأَنْ تُغَسِّلَهُ وَتُلْبِسَهُ سِخَابًا، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى، حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ، فَأَحِبَّهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ». [صحيح مسلم: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ فَضَائِلِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، حديث رقم (٢٤٢١)]. والخباء: هو البيت، ولكع: هو الصبي الصغير، والسخاب: قلادة أو عُقد من القرنفل، شكله ولونه ورائحته جميلة. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: (خبا) ج٢، ص٩، (سخب) ج٢، ص٣٤٩، (لكع) ج٤، ص٢٦٨ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ)].

(٣) (صلاة الأولى)، قال النووي هي: الظهر. [انظر: شرح النووي على مسلم: ج١٥، ص٨٥ (مرجع سابق)].

(٤) الوِلْدَان: يعني بهما صبيَّان.

(٥) (كأنما أُخْرِجَتْ من جُؤْنة عطّار) هي: بضم الجيم، وهمزة بعدها، ويجوز ترك الهمزة بقلبها واوا كما في نظائرها، وقد ذكرها كثيرون أو الأكثرون في الواو. قال القاضي: هي مهموزة، وقد يترك همزها. وقال الجوهري: هي بالواو، وقد تهمز. وهي: السقط الذي فيه متاع العطار هكذا فسّره الجمهور [انظر: شرح النووي على مسلم: ج١٥، ص٨٥ (مرجع سابق)].

(٦) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَابُ طِيبِ رَائِحَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلِينِ مَسِّهِ وَالتَّبَرُّكِ بِمَسْحِهِ، ح(٢٣٢٩).

للأطفال وملاطفتهم...)[١]. وكلّ هذه الصُّور من المُلامسات الحانية لها أثرها بالطبع في نفسية الأبناء؛ يتذكرونها عند الكِبَر، وفي المواقف الصعبة، فتدفع في نفوسهم اليقين والثقة والثبات، وتزداد من خلالها العاطفة، ويرتاح الابن نفسيًّا، ويتزوّد بالطاقة الإيجابية.

٢. **الحفاوة بالأبناء إذا أقبلوا، والسؤال عنهم إذا فُقِدُوا:** ومن الوسائل أيضًا أن يُظهر المربي حفاوة واحتفاء بابنه إذا أقبل؛ تشجيعًا له وتطمينًا لنفسيّته، وهذا مما له أكبر الأثر في بناء الشخصية السوية، وقد كان ﷺ يصنع هذا مع الأبناء والشباب والمتعلمين؛ ففي الخبر عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ يُقَالُ لَهُ صَفْوَانُ بْنُ عَسَّالٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ مُتَّكِئٌ عَلَى بُرْدٍ لَهُ أَحْمَرَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ قَالَ: «**مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحُفُّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَتُظَلِّلُهُ بِأَجْنِحَتِهَا فَيَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى تَعْلُوَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ فَمَا جِئْتَ تَطْلُبُ؟**»...[٢]. فمع ترحيبه بمن حضر منهم، كان يتفقّد ويسأل عمّن غاب أو تأخر؛ ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِ المَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَانْخَنَسْتُ[٣] مِنْهُ، فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: «**أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**» قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ المُسْلِمَ لاَ يَنْجُسُ**»[٤]. ولا شكّ أن مثل هذا الترحيب

(١) شرح النووي على مسلم: ج١٥، ص٨٥. (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

(٢) جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي (المتَوَفَّ: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ج١، ص١٥٥، حديث رقم (١٦٢)، ط١/ ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

(٣) انخنس أي: انقَبَضَ وَتَأَخَّرَ. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص٨٣ (مرجع سابق)].

(٤) صحيح البخاري: كتاب الغسل، بَابُ عَرَقِ الجُنُبِ، وَأَنَّ المسْلِمَ لاَ يَنْجُسُ، حديث رقم (٢٨٣).

تتفتّح معه الأذهان، وسؤال المربي عن ولده ومن يتابع تربيته له أثر طيب في النفوس.

٣. **تلبية النبيّ ﷺ دعوة بعض الشباب إلى طعام أو مجلس:** ومثال ذلك، ما ورد في الحديث عند أحمد من حديث عبدالله بن بُسْرٍ الْمَازِنِيُّ، قَالَ: **بَعَثَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَدْعُوهُ إِلَى طَعَامٍ فَجَاءَ مَعِي،** فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَنْزِلِ أَسْرَعْتُ، فَأَعْلَمْتُ أَبَوَيَّ فَخَرَجَا فَتَلَقَّيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَرَحَّبَا بِهِ، وَوَضَعْنَا لَهُ قَطِيفَةً كَانَتْ عِنْدَنَا زِئْبِرِيَّةً[(١)] فَقَعَدَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ أَبِي لِأُمِّي: هَاتِ طَعَامَكِ، فَجَاءَتْ بِقَصْعَةٍ فِيهَا دَقِيقٌ قَدْ عَصَدَتْهُ بِمَاءٍ وَمِلْحٍ، فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "**خُذُوا بِسْمِ اللهِ مِنْ حَوَالَيْهَا، وَذَرُوا ذُرْوَتَهَا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ فِيهَا**" فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَكَلْنَا مَعَهُ، وَفَضَلَ مِنْهَا فَضْلَةٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ، وَبَارِكْ عَلَيْهِمْ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي أرزاقهم....**"[(٢)].

٤. **الممازحة والتبسط مع الصغار:** وهذا من تواضعه ﷺ؛ فلقد ثبت من حديث أنس ﷺ أنه ﷺ كان يمازح الصبيان ويتبسّط معهم؛ خاصة أصحاب الأعذار منهم، يحكي سيدنا أنس ﷺ أن النبيّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا ذَا الأُذُنَيْنِ» يَعْنِي مَازَحَهُ[(٣)]. ومازح أخاه الصغير يومًا؛ ففي الحديث عن أنس ﷺ –أيضًا– أنه قال: **إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ:**

(١) ذات وبَر؛ ليتمكّن من الجلوس عليها براحة واطمئنان.

(٢) أخرجه أحمد: مسند الشاميين، حَدِيثُ عبدالله بْنِ بُسْرٍ الْمَازِنِيِّ، حديث رقم (١٧٦٧٨)، وهو حديث إسناده صحيح.

(٣) سنن الترمذي: أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي المِزَاحِ، حديث رقم (١٩٩٢)، وقال عنه الشيخ شاكر: (صحيح).

«يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»[1]. وهذه الممازحة اللطيفة لا تذهب بوقار الأبويْن والمربين، الذين لهم في سيدنا رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة.

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَابُ الانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ، حديث رقم (٦١٢٩).

الأساس السابع:

مراعاة الفروق الفردية بين الأبناء

ومن بين أُسس التربية النبويّة مراعاة الفروق التي تكون بين الأبناء؛ فمعلومٌ شرعًا وعُرفًا وعقلا أنّ الناس مختلفون حتى لو كانوا إخوة أو أقارب أو أصدقاء. فقد قال ﷺ: «**تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً**»(١).

ومن شواهد السُّنّة –أيضًا– مما يدلّل على وجود الفروق الفرديّة: ما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**)(٢) ففي هذا الحديث بيان لوجود الفروق الفردية في طبيعة التربة الأرضيّة وبين البشر أيضًا.

كما أنّ في القرآن الكريم دليلا واضحًا على وجود الفروق الفرديّة بين المخلوقات –كما في عالم النبات– ففي قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ

(١) صحيح مسلم: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ –رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُمْ–، باب: قَوْلِهِ ﷺ: النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً، حديث رقم (٢٥٤٧)، ويقول أ/ محمد فؤاد عبدالباقي: [قال ابن قُتَيْبَة: الراحلة النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره فهي كاملة الأوصاف فإذا كانت في إبل عُرِفَت. قال: إن معناه أن مرضى الأحوال من الناس الكامل الأوصاف قليل فيهم جدا كقلة الراحلة في الإبل [صحيح مسلم بتعليقات محمد فؤاد عبدالباقي: ج٤، ص١٩٧٣].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، حديث رقم (٧٩).

وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

ويؤكّد علماء النّفس أنّ "الأفراد يختلفون كمًّا وكيفًا، وعلى نطاقٍ واسعٍ وشاملٍ يظهر في كافة مظاهر الشخصية جسميًّا وعقليًّا واجتماعيًّا وانفعاليًّا.....، إنَّ لكل فرد عالمه الخاص الفريد وشخصيته الفريدة المميزة عن باقي الأفراد وله حاجاته وقدراته وميوله، وهو يختلف عن كل من سواه بسبب سماته الموروثة وخصائصه المكتسبة. ولا يوجد اثنان على وجه الأرض صورة واحدة طبق الأصل. وحتّى التوائم المتماثلة التي تنشأ من بويضة واحدة ذات بداية واحدة في النمو من كافة مظاهره سرعان ما يختلفان بسبب العوامل البيئية المتعددة التي تؤثر في النمو"(١).

وبنظرةٍ يسيرةٍ إلى هَدْي النبوّة في رعاية الفروق الفردية نجده عليه الصلاة والسلام كان يُخاطِب الأبناء كُلٌّ على قدر طاقته الفكرية والثقافيّة، وقد بوّب الإمام البخاريّ في كتاب العلم (**بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا**).

وفي توظيفه لمهارة زيد بن ثابت % في ترجمة لغة غير العربية، ثم كتابة الوحي الشريف، في ذلك دليل على مراعاته للفروق الفردية للشباب في عصره؛ فَزَيْد ﷺ كان حافظًا لما نزل من القرآن الكريم. يقول المُرَبّي الإمام الغزالي ə في إحيائه: (مِن وظائف المُعلّم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يُلْقِي إليه ما لا يبلُغُه عقلُه فيُنَفِّرُهَ أو يُخَبّط عليه عقلَه، اقتداءً في ذلك بسيّد البشر ﷺ حيث قال: ((**نحن معاشر الأنبياء أُمِرْنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر**

(١) التوجيه والإرشاد النفسي: د. حامد عبدالسلام زهران، ص٧٦، ط٣/ عالم الكتب- مصر (بدون تاريخ).

عقولهم))[1]، فليَبُثَّ إليه الحقيقة إذا عَلِم أنه يستقل بفهمها... **ثم عقّب قائلاً:** ولا ينبغي أن يُفْشِيَ العالِم كلّ ما يعلم إلى كلّ أحد، هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه....)[2].

وعلى ضوء ما سبق:

يلزم الآباء والأمهات مراعاة الفروق الفردية لدى الأبناء؛ بحيث لا يُضرب ولدٌ لأنه لا يُحسن الإجابة في اختباراته، أو نتيجته سيئة بخلاف أخيه مثلا؛ فربما كان متفوقًا في مجال آخر، وكذا لا يعنّف ابن من الأبناء لأنه لا يفكر بجودة تفكيره أخته مثلا؛ فالفروق الفردية طبيعة فطرية وخِلقية.

(١) قال الحافظ السخاوي: هذا حديث حسن أورده مسلم في مقدمة صحيحه. [انظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: العِراقي (٧٢٥ - ٨٠٦هـ)، ابن السبكي (٧٢٧ - ٧٧١هـ)، الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)، ج١، ص١٦٦، ط١/ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م، دار العاصمة للنشر- الرياض].

(٢) إحياء علوم الدين: ج١، ص٥٧ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

ثالثاً: الأسس الأخلاقية والاجتماعية

الأساس الأول:

العـــدل والمســـاواة بين الأبنـــــاء

حيث أكّدت الدراسات التربوية والنفسية إلى أن (هناك علاقة وثيقة بين القيام بحقوق الطفل وصحّته النفسيّة، ومن ذلك حق الطفل في العدل والمساواة بينه وبين إخوته؛ حيث إنّ العدل يحمي الطفل من صور الاضطراب في نموه الشخصيّ والانفعالي والاجتماعي، ومن ثمّ فالأطفال الذين يُعانُون من تفضيل الوالدين لبعض الإخوة عليهم في الاهتمام والمعاملة يصيبهم الاضطراب في نمـوهم الشخصـي والاجتمـاعي، ويميلـون إلـى البقـاء غيـر ناضـجين انفعاليًّا...)[(١)].

ولذا أكّدت السنة النبوية على ضرورة العدل بين الأبناء، ففي الحديث النبويّ أنّ النبيّ ﷺ قال: «**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي العَطِيَّةِ**»[(٢)]. كما جاء أيضًا عن النعمان بن بشير ﷺ أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى الرسول ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلاَمًا، فَقَالَ: «**أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ**»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «**فَارْجِعْهُ**»[(٣)]. وفي لفظ: أن النبيّ ﷺ قَالَ: «**أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟**»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ**»، قَالَ النعمان: **فَرَجَعَ أبي فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ**[(٤)].. وعَن أَنَس ﷺ؛

(١) تفسير السلوك المشكل عند الأطفال من المنظور الإسلامي: عبدالعزيز محمد النغميش، بحث بمجلة التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد (٧٠) مارس: ١٩٩٨م، ص٤١٤ (بتصرف يسير).

(٢) صحيح البخاري: كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، بَابُ الهِبَةِ لِلْوَلَدِ، وَإِذَا أَعْطَى بَعْضَ وَلَدِهِ شَيْئًا لَمْ يَجُزْ، حَتَّى يَعْدِلَ بَيْنَهُمْ وَيُعْطِيَ الآخَرِينَ مِثْلَهُ، وَلاَ يُشْهَدُ عَلَيْهِ، تابع حديث رقم (٢٥٨٥)، ج٣، ص١٥٧.

(٣) المرجع السابق، حديث رقم (٢٥٨٦).

(٤) صحيح البخاري: كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، باب الإشهاد في الهبة، حديث رقم(٢٥٨٧).

أَنَّ رَجُلا كَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ فَقَبَّلَهُ وَأَقْعَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ، وَجَاءَتْهُ بُنَيَّةٌ لَهُ فَأَجْلَسَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **((أَلا سَوَّيْتَ بَيْنَهُمَا))**[(١)]. والعَطِيّة هنا ليست في الأمور المادية وحدها؛ بل يدخل فيها ما يظهر من الأمور المعنوية كالتقبيل والمعانقة والهدية والابتسامة وغير ذلك.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يراعي مشاعر الأبناء بتوجيه الآباء إلى العدل والمساواة بينهم؛ حتى لا ينزغ الشيطان بين الإخوة والأخوات.

والحديث هنا عن العدل بين الأبناء فيما يمكن العدل فيه ظاهريًّا، أما الميل القلبي فليس بيد صاحبه، كما ذكر أ.د/ موسى شاهين لاشين، حيث يعلّق قائلا: **(ويؤخذ من الحديث:** جواز الميل القلبي إلى بعض الأولاد والأزواج دون بعض، وإن طُلبت التسوية بينهم في غير ذلك**)**[(٢)].

ولقد كان السّلف –رضي الله عنهم– يحرصُون على التسوية بين أبنائهم حتى في القُبَل، يقول ابن قدامة المقدسي في المُغْنِي: (...ولا خلاف بين أهل العلم في استحباب التسوية، وكراهة التفضيل. قال إبراهيم: **كانوا يَسْتَحِبُّون أن يُسَوُّوا بينهُم حتى في القُبَل)**[(٣)]. ومن أخطر ما يتسبب فيه غياب العدل بين

(١) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق بن خلاد بن عبدالله العتكي المعروف بالبزار (المتَوَفَّ: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مسند أبي حمزة أنس ابن مالك، حديث رقم (٦٣٦١)، ط١/ ١٩٨٨م، مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رَوَاهُ الْبَزَّارُ فَقَالَ: حَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا وَلَمْ يُسَمِّهِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ، [انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتَوَفَّ: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، ج٨، ص١٥٦، ط. مكتبة القدسي، القاهرة: ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

(٢) المنهل الحديث في شرح الحديث: أ.د/موسى شاهين لاشين، ج٣، ص٣٢، ط١/ ٢٠٠٢م، دار المدار الإسلامي– مصر.

(٣) المغني لابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتَوَفَّ: ٦٢٠هـ)، ج٦، ص٥٣، ط: ١٣٨٨هـ، مكتبة القاهرة.

الأبناء شيوع الكراهية بينهم، وربما يصل إلى حد الأذى البدني وممارسة العنف بينهم.

وقد كان النبيّ ﷺ يعدل في إظهار مشاعره للأولاد، كما في حديث الرمي السابق: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»[(١)]. يقول ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري ɜ: (....وفيه من الفقه أنه يجوز للرجل أن يبين عن تفاضل إخوانه وأهله وخاصته في محبته، ويعلمهم كلهم أنهم في حزبه ومودته)[(٢)].

ويقول ابن حجر في الفتح: (وفيه التنويه بذكر الماهر في صناعته ببيان فضله وتطييب قلوب من هم دونه وفيه حسن خلق النبي ﷺ ومعرفته بأمور الحرب وفيه الندب إلى اتباع خصال الآباء المحمودة والعمل بمثلها وفيه حسن أدب الصحابة مع النبي ﷺ)[(٣)]. كما يقتضي العدل والمساواة عدم تفضيل الذكور على الإناث، فإذا شعرن بتمييزهم عليهن أصَابهنّ الحقد والحسد فيجب المساواة بين الأبناء كلهم.

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى الرَّمْيِ، حديث رقم (٢٨٩٩).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك (المَتَوَفَّى: ٤٤٩هـ)، ج٥، ص٩٤، ط٢/ ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض.

(٣) فتح الباري لابن حجر: ج٦، ص٩٢ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

الأساس الثاني:

تنمية الروح الاجتماعية

الإنسان اجتماعيّ بالفطرة، ويأنس إلى الآخرين، لكن أُنسَ الإنسان إلى البشر يأتي بالتربية والتعوّد من الصغر على هذا. ولذا كان النبيّ ﷺ يحفّز همم الأبناء نحو التواصل الاجتماعي مع الآخرين بحضور الأفراح وتقديم التعازي ومشاركة الغير فيما فيه الخير.

وللدلالة على ذلك تأتي الأمثلة التالية:

١. **مشاركته ﷺ شخصيًّا مع أصحابه في بناء المسجد النبوي الشريف،** (...فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغّب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار، ودأبوا فيه، فقال قائل من المسلمين:

لئن قعدنا والنبي يعمل * لذاك منا العمل المضلل**

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون:

لا عيش إلا عيش الآخرة * اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة)**[(١)].

كما شارك النبيّ ﷺ في حفر الخندق يوم الأحزاب. فها هم أبناء الأُمّة يرون القائد العظيم سيدنا محمدًا ﷺ يتحرّك بنفسه ويشارك في أعمال المجتمع ولا يتأخر.

٢. **التوجيه المباشر بالمشاركات المجتمعية وأنها جزء من الإيمان،** وأنّ المؤمن الحق هو الذي يُخالط الآخرين ويصبر على ما يصدر منهم من

(١) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي (المَتَوَفَّ: ٥٨١هـ)، ج٤، ص٢٣٤، ط١/ ١٤١٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت. والبداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المَتَوَفَّ: ٧٧٤هـ)، ج٣، ص٢١٦، ط. دار الفكر: ١٤٠٧هـ= ١٩٨٦م.

أذى؛ ففي الحديث: "المؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم أَعظمُ أَجرًا من الذي لا يُخالطهم ولا يصبر على أذاهم"(١). ولا شك أنّ في ذلك دعوةً للمخالطات الاجتماعية والمشاركات الإنسانية؛ تنمية للثقة بالنفس، وإيقاظًا للإحساس البشري.

٣. **ترغيب تلامذته وأتباعه ﷺ ومن سار على هديهم في بذل ما فيه منفعة عامة للبشر ولغير البشر**، فمن خلال سنّته الشريفة يُلاحَظ أنه ﷺ قد وجّه صراحة إلى بذل المعروف والخير، وأكّد ﷺ أنّ من زرع زرعًا، أو رسم بسمة على شفاه حُرِمَت منها، أو شارك في إسعاد غيره، أو فتح باب خير للغير فإنّه يثاب ويأخذ أَجْرَه بكل يقين؛ ففي الحديث: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»(٢) وفي لفظ مسلم: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ –يأخذ منه– أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ**»(٣). وفي ذلك رسالة للمربين إلى ضرورة تنمية الانتماء لدى الشباب نحو مجتمعاتهم وبلدانهم، وذلك من خلال الحثّ على مشاركة المجتمع في كل ما يعود على المجتمع بالنفع.

٤. **التربية على مواساة الآخرين إذا أهمّتهم مصيبة:** كما فعل مع أسرة سيدنا جعفر ابن أبي طالب ﷺ حين استُشهد يوم مؤتة؛ ففي الحديث الذي يحكيه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، يقول: لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ حِينَ قُتِلَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدْ**

(١) مسند أحمد: ومن مسند بني هاشم، مسند عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم (٥٠٢٢) وقال عنه الشيخ شاكر: إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المزارَعة، بَابُ فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ، حديث رقم (٢٣٢٠).

(٣) صحيح مسلم: كتاب المساقاة، بَابُ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ، حديث رقم (١٥٥٢).

أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ، أَوْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ"[1].

فإنّ صبيًّا نُشِّئ على معاني المواساة والإحساس بالآخرين لن يظلم غيره يومًا، وسيشعر بهموم الناس إذا أهمّتهم الأمور وضاقت بهم الأحوال. وكل هذه الأمثلة لها أكبر الأثر في نفسية جيل الشباب الناشئ؛ حيث تعمل على تنمية المسؤولية نحو مجتمعهم وأوطانهم، كما أنّ لها أعظم الأثر في إعداد جيل يحب الخير للغير، لا سيما في زمن باتت الأنانية فيه تطغى على نفوس الكثيرين من البشر اليوم، نسأل الله العفو والسلامة والعافية.

(١) مسند أحمد: مُسْنَدُ أَهْلِ الْبَيْتِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ، حَدِيثُ عَبْدِاللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم (١٧٥١) وقال الشيخ أحمد شاكر في التحقيق: (إسناده حسن).

الأساس الثالث:

الابتعاد عن مدمرات العملية التربوية

ستظل التربية عملية تفاعلية بين مُرَبٍّ ومُتَلَقٍّ للتربية، تقيمها العلاقة الطيبة وتدمّرها الوسائل السلبية التي يمارسها بعض المربين. ولقد جاء رسول الله ﷺ بمنهج عملي وواقعي يراعي الإنسان والزمان والمكان حيث كان، وقد خلص منهجه من المشوشات التي تُزعج الزمان والمكان والإنسان على السواء. ومن بين ذلك أنّه حذّر من مدمّراتٍ متعدِّدَة تقتل المواهب والطاقات في نفوس الأبناء والبنات، وقد ابتعد عنها ولم يستخدمها، بل وحذَّر وعنَّفَ من استخدمها، ومن بين تلك المدمرات التربوية، ما يأتي:

أولا: العقاب البدني والضرب:

يُعد الضرب للأبناء من أخطر مدمرات التربية الوالدية، وقد ثبت عنه ﷺ أنه ما ضرب بيده أبدًا، ولو كان الضّرب سلوكًا إيجابيًّا في التربية لاستخدمه، لكنه ما فعل؛ تقول أُمُّنَا السيدة عائشة رضي الله عنها: «**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

فإنّ الضرب والإيذاء البدني -فوق أنّه مدمّر للشخصية- مُفْسِد لكل ما فيها من خير، ويمكن أن تكون تلك الوسائل سببًا في إعانة الشيطان على النفس، ولذا كان قول النبي ﷺ شعارًا واضحًا: «**لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى**

(١) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَابُ مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ، أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ، حديث رقم (٢٣٢٨).

أَخِيكُمْ»[(١)]. ولم يثبت بدليل واحد أنّ النبيّ ﷺ ضرب ولدًا من أولاده أو عاقبَ غلامًا أخطأ أو صبيًّا أساء، بل كان يشتدّ ﷺ بموعظته على من استخدم الضرب في تأديب غلامه.

كما في حديث أبي مسعود الأنصاري، وفيه عن إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ: **كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي، «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ**[(٢)]**، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا**[(٣)].

ثانياً: الكلمات المُحبطة:

وهي كلمات تقتل كل جميل في نفوس الأبناء، كإطلاق ألفاظ الغباء والبلادة والفشل على الأبناء والصراخ في وجوههم دائمًا بتلك الألفاظ، والسخرية من شكلهم وحجمهم ومستواهم العلمي، والمقارنة بينهم وبين غيرهم من الأقران، وقد حذَّر النبيّ ﷺ أشدّ التحذير من إطلاق كلمات التيئيس والتبئيس والتفشيل والتجهيل والسلبية، كما دعا إلى إيجاد البديل عمّا نَهَى عنه من الألفاظ السلبية المُحبطة؛ فقد ورد في الحديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،

(١) صحيح البخاري: كتاب الحدود، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ لَعْنِ شَارِبِ الخَمْرِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَ المِلَّةِ، حديث رقم (٦٧٨١).

(٢) الغضب حالة طبيعية تعتري الإنسان عند فعل أو قول ما لا يروق له، ويعرّضه للسخرية أو الامتهان، أو الإحساس بالانتقاص من ذاته، غير أن الأب يتحمّل مسؤولية في تعلم مهارات التحكّم في الغضب عند وقوعه، مثل: التطوير من المهارات الذاتية، تعلّم فنون إدارة الغضب عن طريق التدريب أو جلسات الدعم النفسي على يد المتخصصين،...

(٣) صحيح مسلم: كتاب الأيمان، بَابُ صُحْبَةِ الْمَمَالِيكِ، وَكَفَّارَةِ مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ، حديث رقم (١٦٥٩).

عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «**لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي**»[٢]. كما أنكرَ النبيّ ﷺ على من قال عن غيره: هالك؛ ففي الحديث الصحيح كما عند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**"[٣] وتُقرَأ **أَهْلَكَهُمْ** بِالنَّصْبِ[٤]، أَوْ **أَهْلَكُهُمْ** بِالرَّفْعِ[٥]. فالحذر مطلوب من كلمات الإحباط للأبناء؛ فالمخطئ سيصيب بعد فترة، والخطأ لا يُلاصِق من قام به؛ فربّما تغيّر، والقلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء.

ثالثاً: النداء بقبيح الأسماء والصفات:

فإن الابن حين يرى نفسه مُهانًا عند أقرب الناس إليه، بندائه باسم قبيح، وعدم التلطف معه في مناداته، سيكره المنزل.. وربّما يصير فريسة للاستغلال من جانب غيره، ولذلك وجدناه ﷺكان يتلاطف مع الأبناء ويناديهم بألطف الأسماء، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: "قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَا بُنَيَّ**"[٦].. ولعلّ سيدنا أنس ﷺ لم يرو هذه الرواية إلا لهذا الغرض، من أجل أن يوضّح للمربين أنّ النبيّ ﷺ كان ينادي الأبناء الصغار بلفظ (البنوّة)، حتى لو كانوا من غير أبنائه نسبًا. فالطفل سيظل يتلمّس لغة راقية من الكبار نحوه، بمناداته نداء حسنًا، وملاطفته تلاطفًا يُشعره بالكرامة لا بالنقص والتجريح

(١) ورد في النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٤، ص٢٦٣، أي: غَثَت: واللَّقْس: الْغَثَيَان، يقول ابن الأثير: "وَإِنَّمَا كَرِه «خَبُثَت» هَرَباً مِنْ لْفظ الخُبث والخَبيث".

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَابُ لاَ يَقُلْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، حديث رقم (٦١٧٩).

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ هَلَكَ النَّاسُ، حديث رقم (٢٦٢٣).

(٤) أي: تسبب في إهلاكهم بكلماته السلبية المحبطة.

(٥) أي: أكثرهم هلاكًا في الحياة.

(٦) صحيح مسلم: كتاب الآداب، بَابُ جَوَازِ قَوْلِهِ لِغَيْرِ ابْنِهِ: يَا بُنَيَّ وَاسْتِحْبَابِهِ لِلْمُلاطَفَةِ، حديث رقم (٢١٥١).

والتنقيص من شأنه.

ثالثاً: السلبية التربوية وعدم تصحيح الأخطاء:

وتلك مدمِّرَة أخرى من مُدَمِّرات التربية. ولقد كان نبينا ﷺ يعتني بتعليم الصبيان وتأديبهم بأدب الحلال والمُباح، ومما ورد في ذلك: نهيه عن القزع في رأس الصبي وعدم الرّضا بهذا الصنيع، ففي الحديث عن ابن عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنِ القَزَعِ» قَالَ عُبَيْدُالله: قُلْتُ: وَمَا القَزَعُ؟ فَأَشَارَ لَنَا عُبَيْدُالله قَالَ: إِذَا حَلَقَ الصَّبِيَّ، وَتَرَكَ هَا هُنَا شَعَرَةً وَهَا هُنَا وَهَا هُنَا، فَأَشَارَ لَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى نَاصِيَتِهِ وَجَانِبَيْ رَأْسِهِ. قِيلَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ: فَالجَارِيَةُ وَالغُلاَمُ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي، هَكَذَا قَالَ: الصَّبِيُّ. قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: وَعَاوَدْتُهُ، فَقَالَ: أَمَّا القُصَّةُ وَالقَفَا لِلْغُلاَمِ فَلاَ بَأْسَ بِهِمَا، وَلَكِنَّ القَزَعَ أَنْ يُتْرَكَ بِنَاصِيَتِهِ شَعَرٌ، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ شَقُّ رَأْسِهِ هَذَا وَهَذَا[1]. أما ما يُرى اليوم في سمت بعض الآباء في إهمال دورهم الأخلاقي في التربية، فيتركون أبناءهم دون رعاية تربوية ولا أخلاقية هكذا، فليس من الإسلام ولا من آداب التربية الصالحة.

رابعاً: مخالفة القول الفعل:

لقد حذّر النبيّ ﷺ أشد التحذير من الكذب على الأبناء أو مخالفة فعل المربي لقوله الحسن، ومن ذلك ما ورد في حديث عبدالله بن عامر، حين أرادت أمّه أن تعطيه شيئًا، وقال لها النبيّ ﷺ حينها: (أما إنك لو لم تفعلي؛ كُتبت عليكِ كذبة)[2].

خامساً: التهديد والترويع والتخويف

إن تربية الأولاد بطريقة العنف لا تُخرج منهم أبطالا بل جبناء أو عدوانيين يومًا ما عندما يتمكّنون أو يكبرون، لذا لزم التنبيه على خطورة العنف والتربية

(١) صحيح البخاري: كتاب اللباس، بَابُ القَزَعِ، حديث رقم (٥٩٢٠).

(٢) سبق تخريجه: صـ .

بالتهديد والتخويف. ولقد حذّر النبيّ ﷺ من هذا المسلك فعَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَتْ: أَتَيْتُ[1] رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَنَهْ سَنَهْ**[2]»، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي[3] أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعْهَا»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَبْلِي وَأَخْلِفِي ثُمَّ، أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي» قَالَ عَبْدُالله: فَبَقِيَتْ حَتَّى ذَكَرَ[4] **ويستفاد من الحديث ما يأتي:**

١. قول الرسول ﷺ: (دَعْهَا) –وهي البُنيّة الصغيرة–، تعني أن كل خطأ للابن أو البنت لا يكون بالانتهار والعنف والشدّة.

٢. كما يعني تربويًّا ضرورة ضبط سلوك الأبوين مع أبنائهما عند تعديل السلوك أو تصحيح الخطأ؛ فقد أذِنَ النبيّ ﷺ للبنت الصغيرة أن تلعب بخاتمه الشريف، ونهى والدها عن انتهارها، وقد بوّب الإمام البخاريّ ɘ لهذا الحديث: (**بَابُ مَنْ تَرَكَ صَبِيَّةَ غَيْرِهِ حَتَّى تَلْعَبَ بِهِ، أَوْ قَبَّلَهَا أَوْ مَازَحَهَا**)[5].

٣. من حقوق الأبناء –سيّما في سنّ الصّغَر– التعامل معهم على أنهم أطفال، فلا يتم معاملتهم معاملة الكبار.

٤. من فنون التربية الناجحة الدعاء للأولاد، كما دعا النبيّ ﷺ لها بالبركة

(١) وفي رواية: (أُتِيَ بِي النبيَّ ﷺ) يقول ابن حجر: [وفيه إشارة إلى صغر سنها إذ ذاك ولكن لا يمنع ذلك أن تكون حينئذ مميزة] [ينظر: فتح الباري لابن حجر: ج١٠، ص٢٨٠ (مرجع سابق)].

(٢) يقال: (سَنَا بالحَبَشيَّة حَسَنٌ، وَهِيَ لغةٌ، وتُخَفَّف نُونُها وتُشدَّد) [النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص٤١٥ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ)].

(٣) زبرني أي: زجرني، وزبره أي: أغلظ له قوله. [فتح الباري لابن حجر: ج١، ص١٢٦ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ)].

(٤) صحيح البخاري: كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالفَارِسِيَّةِ وَالرَّطَانَةِ، حديث رقم (٣٠٧١).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَابُ مَنْ تَرَكَ صَبِيَّةَ غَيْرِهِ حَتَّى تَلْعَبَ بِهِ، أَوْ قَبَّلَهَا أَوْ مَازَحَهَا، ج٨، ص٧.

وطول العمر.

سادساً: الاتكالية والاعتماد على الآخرين

الاتكالية: هي أن يعتمد الأبناء على غيرهم في تنظيم حياتهم واتخاذ القرارات المهمة التي تخصّهم، وتعني: التهرب من المسؤولية. وإنّ تربية الأبناء على الاتكالية هي من الخطورة بمكان؛ فإنّ الاتكالية والاعتماد الدائم على الغير يقتل الطاقات الإيجابية التي جبَل الله عليها الإنسان، ويجعل الأبناء دائمًا في حالة رخاوة لا عمل معها، وسلبية لا إيجابية تحيطها، وكسل لا جدية معه.

والناظر في منهج رسول الله ﷺ يكتشف أنّه كان يتحرّك بنفسه ويعمل بذاته ويساهم في البناء والعمل مع أصحابه، وكان ﷺ يُحسن توظيف طاقات الأبناء ويحرّكهم نحو ما ينفعهم في ذواتهم وينفع أمّتهم وأوطانهم؛ ومن بين النماذج الدالّة على ذلك، أنه ﷺ أرسل من الشباب سفراء إلى أقطار أخرى، ووكّل إليهم مهامًّا دعويّة مختلفة، ووظّفهم فيما يحسنونه من مهارات. وقد كان عليه الصلاة والسلام يشجّع الشباب على التعبير عن ذواتهم وأفكارهم وقراراتهم، ويستحسن منهم ذلك الاجتهاد، **ومن السمات الوالدية التي تُخرّج شخصية اتكالية**[1]**، ما يأتي:**

(١) ومن آثار تلك الشخصيات الاتكالية ما جاء في تقارير منظمة الصحة العالمية، فقد أدرجت منظمة الصحة العالمية اضطراب الشخصية الاعتمادية في المراجعة العاشرة للتصنيف الدولي للأمراض رقم F٦٠,٧ اضطراب الشخصية الاعتمادية، ويتميز بما لا يقل عن ٣ من التالي:

١. السماح للآخرين أو حتى تشجيعهم ليتخذوا له أهم القرارات في حياته.
٢. تبعية احتياجات الشخص المصاب لاحتياجات الآخرين الذين يعتمد عليهم، وامتثال لا مبرر له تجاه رغباتهم.
٣. عدم الرغبة في خلق أو صياغة مطالب ولو حتى معقولة تجاه الأشخاص الذين يعتمد عليهم.

١. **التسلّط والديكتاتورية الوالدية:** كمثل الأب الذي يحدد لأبنائه طريقة التفكير، ونظام الحياة، واختيار الرغبات التعليمية الخاصة بهم،.. ومثل هذه التربية تُخرِّج غلمانًا يستمعون للأوامر، على اعتبار أنّها المنطقة الأكثر أمانًا؛ فاتباع الأوامر ينجي من العقوبة ويضمن المكاسب.

٢. **الحماية الزائدة من الأبوين لأبنائهم:** وهي صورة من الخوف القاتل على الأبناء، كمثل منع الخروج من البيت للسفر أو العلم أو الترحال أو الزيارات، وهذه الطريقة تجعل الابن دائم الخوف من كل جديد ومن العالَم كله من حوله.

---

٤. الشعور بانعدام الراحة أو العجز عندما يكون وحيدًا، بسبب المخاوف المبالغ فيها من عدم قدرته على رعاية نفسه.

٥. الانشغال الدائم بمخاوف من أن يتم التخلي عنه من قبل شخص قريب منه، ومن أن يتم تركه لرعاية نفسه.

٦. محدودية القدرة على اتخاذ القرارات اليومية دون كمية زائدة من النصائح والطمأنينة من الآخرين. ويمكن أن تشمل كذلك بعض الميزات المصاحبة للاضطراب كإدراك الذات كما لو كانت عاجزة، أو غير كفء، وتفتقر إلى القدرة على التحمل. [ينظر: موقع (بشرى حياة)، بتاريخ الأحد ٢٠٢٠/٣/٢٢م، على الرابط: https://bushra.annabaa.org/education/٢٢٠.

الأساس الرابع:

التربية الجسمية والصحية للأولاد

إنّ من عظمة هذا الدين أنه دينٌ شاملٌ في أحكامه وتشريعاته وأخلاقه، وقد جاءت تربيته عليه الصلاة والسّلام شاملة لملامح البناء المتكامل للأبناء والبنات، ومن بين صور اهتماماته التربوية **(التربية الجسمية والصحية للأولاد)**، ومن النماذج الدالّة على ذلك:

١. **الترغيب في النظافة والطهارة والوضوء:** فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ "قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا»(١). وعند البخاري في الصحيح من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ، ثُمَّ لِيَنْثُرْ، وَمَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَ يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ»(٢).

٢. **دعوة الرسول ﷺ إلى مكافحة الأوبئة والأمراض بالتداوي للمحافظة على سلامة البدن:** فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: قَالَتِ الأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: "نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً إِلا دَاءً وَاحِدًا" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «الهَرَمُ»(٣).

٣. **التغذية السليمة:** لقد كان النبيّ ﷺ يهتمّ بالجانب الغذائيّ الصحي للطفل؛

---

(١) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، بَابٌ: الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ كَفَّارَةٌ، حديث رقم (٥٢٨).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الوضوء، بَابُ الاسْتِجْمَارِ وِتْرًا، حديث رقم (١٦٢).

(٣) سنن الترمذي: أبواب الطب، بَابُ مَا جَاءَ فِي الدَّوَاءِ وَالحَثِّ عَلَيْهِ، ح(٢٠٣٨) وَفِي البَابِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي خُزَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وقال الشيخ أحمد شاكر: (حديث صحيح).

فقد كان الناس إذا رأوا أول الثمر، جاءوا به إلى النبيّ ﷺ فإذا أخذه رسول الله دعا بالبركة، ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر؛ ففي الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه–، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ»، قَالَ: **ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ**[(١)].

٤. **التربية البدنية بالتريّض والتشجيع على إجراء المسابقات التنافسيّة**؛ فقد كان النبيّ ﷺ يُشَجِّع على عقد المسابقات والمنافسات بين الشباب؛ ففي الحديث عن عبدالله بن الحرث قال: كان رسول الله ﷺ يَصُفُّ عبدالله وعُبيد الله وكَثيرًا، ثم يقول: "**من سَبَقَ إليَّ فله كذا وكذا**"، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبّلهم، ويَلزَمُهُم[(٢)] ومن النماذج الأكثر وضوحًا في إجراء المنافسات الإبداعية والألعاب التنافسية بين الشباب، ما أجراه الرسول بين رافع بن خديج وسمرة بن جندب –رضي الله عنهما– يوم أُحُد، فهذا رافع بن خديج يحكي موقفه يوم أُحُد: (....فَأَجَازَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمّا أَجَازَنِي قَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ –رضي الله عنه– لِرَبِيبِهِ –وَهُوَ زَوْجُ أُمّهِ–: يا أبة، أَجَازَ رَسُولُ اللهِ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ –رضي الله عنه– وَرَدّنِي، وَأَنَا أَصْرَعُ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ. فَقَالَ مُرَيّ بْنُ سِنَانٍ الْحَارِثِيّ –ربيب سمُرة–: يَا

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج، بَابُ فَضْلِ الْمَدِينَةِ، وَدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، وَبَيَانِ تَحْرِيمِهَا، وَتَحْرِيمِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا، وَبَيَانِ حُدُودِ حَرَمِهَا، حديث رقم (١٣٧٣).

(٢) مسند أحمد: ومن مسند بني هاشم، حديث عبدالله بن العباس عن النبي ﷺ، حديث رقم (١٨٣٦) وفي إسناده ضعف، كما قال الشيخ أحمد شاكر في التحقيق.

رَسُولَ اللهِ رَدَدْت ابْنِي وَأَجَزْت رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ وَابْنِي يَصْرَعُهُ. فقال رسول الله ﷺ: **تَصَارَعَا! فَصَرَعَ سَمُرَةُ رَافِعًا فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ....)**[1]. فقد كان النبيّ ﷺ يستخدم الترغيب والإثابة في إثارة نشاط الصبية والشباب، لكي يدعمهم في ممارسة أنشطتهم البدنية والرياضية ويشاركهم في فرحتهم ومنافساتهم الشريفة.

(١) المغازي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبدالله، الواقدي (المَتَوَفَّى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، ج١، ص٢١٦، ط٣/ ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م، دار الأعلمي، بيروت.

رابعاً: الأسس الفكرية والإبداعية

الأساس الأول:

التربية على التميز والاستقلالية

إنّ أغلب المربّين يريدون لأبنائهم أن يكونوا صورة طبق الأصل منهم، وهذه النظرة تصنع منهم تابعين لغيرهم لا مبتكرين ومبدعين. ولذا كان هدي النبيّ ﷺ يتركّز على استخدام عدد من الوسائل المعينة على التميز في حياة الأبناء، **ومن بين تلك الوسائل ما يلي:**

١. الحوار الهادئ والمناقشة الرقيقة دون تعنيف لقرار التميز والاستقلالية:

فإنّ الناشئ حين ينشأ في بيئة يسودها الحوار وتقبّل الرأي يعطيه ذلك فرصة نحو الاستقلالية والقدرة على التعبير عن ذاته بلا خوف أو هلع. ولعلّ في قصة الغلام الصغير الذي جلس مع الكبار يومًا وحاوره النبيّ ﷺ واستأذنه في أن يسقي الكبار قبله –بينما كان هو على يمين الرسول ﷺ– رفض الغلام بكل استقلالية دون تبعية لغيره أو انحياز للأكبر أو الأشدّ، كما في الحديث عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ قَدَحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ أَصْغَرُ القَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: «**يَا غُلاَمُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ**»، قَالَ: **مَا كُنْتُ لأُوثِر بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ**[(١)] وفي هذا الحديث ما يدلل على اعتياد الأبناء الأكثر استقلالية على التعبير برأيهم بين ما يسمعون من آراء ولا ينساق الكثير منهم وراء الأغلب أو الأقوى أو الأعلى منصبًا مثلا. وقد تمسّك بحقه أيضًا ابن عباس رضي الله عنهما يوم أن جاء الدَّوْر عليه في الشُّرب، فخيّره النبيّ ﷺ أن يؤثر بها خالدًا –رضي الله عنه–، فأبَى ابن عباس، كما ثبت في الحديث عن

(١) أخرجه البخاري: كتاب المساقاة، بَابٌ فِي الشُّرْبِ، وَمَنْ رَأَى صَدَقَةَ المَاءِ وَهِبَتَهُ وَوَصِيَّتَهُ جَائِزَةً، مَقْسُومًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مَقْسُومٍ، حديث رقم (٢٣٥١).

ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: أهدتْ خالتي أم حُفَيْدِ إلى رسول الله ﷺ سمناً ولبناً وأَضُباً[(١)]، فأما الأضُبُّ فإن النبي ﷺ تَقَلَ عليها، فقال له خالد بن الوليد: قَذِرْته يا رسول الله؟، قال: "نعم"، أو: "أجلْ"، وأخذ النبِي ﷺ اللبن فشرب منه، ثم قال لابن عباس وهو عن يمينه: "**أمَا إنّ الشّرْبة لك، ولكنْ أتأذنُ أن أَسْقِي عمَّك؟**"، فقال ابن عباس: قلت: لا والله، ما أنا بمُؤثِرٍ على سُؤْرِك أحَداً، قال: فأخذتُه فشربتُ ثم أعطيتُه، ثم قال النبي ﷺ: "**ما أعلم شراباً يُجزئ عن الطعام غيرَ اللبن، فمن شربه منكم فليقل: اللهم باركْ لنا فيه وزدنا منه، ومن طَعِمَ طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه**"[(٢)].

فليس في رواية الحديث ونصِّه من تعليق ولا إنكار على ابن عبّاس؛ فما عنّفه الرسول ولا نهره ولا عاداه، كل هذا يعلّمنا أن نكون رحماء مع استقلالية أبنائنا وذاتيتهم. مع تأديبهم بالآداب الراقية التي تعوّدهم على الإيثار في نفس الوقت واحترام الكبير وتقديره، ولنا أن ننظر في كلمات ابن عباس مثلا في الحديث المُشَار إليه، حين قال: ما كنت لأؤثر على سُؤْرِك أحدًا؛ فكأنه يشير إلى التميز الذاتي بنيل بركة النبيّ ﷺ وسُؤرُه من الشراب.

٢. **عدم الإنكار على المُرَبَّى إذا اجتهد في أمر يحتمل أكثر من رأي**: وهذه وسيلة يتعلمها الدارسون والمُربّون من رسول الله ﷺ في موقفه من أصحابه يوم قريظة؛ ففي الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: «**لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**» فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ

(١) الأضب هو حَيَوَان من جنس الزواحف من رُتْبَة العظاء غليظ الْجِسْم خشنه وَله ذَنْب عريض، يكثر فِي صحاري الأقطار الْعَرَبيَّة، ومن صفاته المراوغة والخداع. [ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، باب الضاد، ج١، ص٥٣٢].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: مسند عبدالله بن عباس رضي الله عنه، حديث رقم (٢٥٦٩).

العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ، **فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ**[(١)]. **يقول ابن حجر في الفتح تعليقًا على هذا الحديث: و(فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد فيستفاد منه عدم تأثيمه)**[(٢)]. فيُلاحَظ للعقلاء أنه ﷺ لم يُنكر على أي الفريقين؛ فكلاهما استقلّ برأيه وتميّز وتفرّد به عن قرينه، وليس بخطأ، فاستحسن النبيّ ﷺ منهم الاستقلالية والاختلاف الفكري. وها هو ﷺ يشجّع الشباب على الاستقلال الذاتيّ في التفكير، شريطة أن يكون مرتبطًا بعمق انتمائهم لرسالة الإسلام؛ كما فعل مع سيدنا معاذ بن جبل ﷺ يوم أن أرسله إلى بلاد اليمن داعيًا إلى الله[(٣)].

٣. التركيز على إيجابيات الأبناء لا السلبيّات: وقد كان النبي ﷺ يشجع الشباب على التميز فيعطيهم ألقابًا معنوية تتعلق بما هم فيه من إيجابيات وتميّز، كألقاب (ذو النورين، الفاروق، الصديق، سيف الله المسلول، أمين الأمة، غلام معلّم،...) إلى غير ذلك من الألقاب المشجّعة، فإنّ (تشجيع الابن وتذكيره بنقاط القوة لديه، وما يمكن أن ينجزه ويقوم به يظل أعود عليه بالنفع من إيقاعه في القنوط، ووضع العقبات في طريقه.. فلماذا لا نتخذ من إيجابيات أبنائنا رأس جسرٍ لبناء

(١) صحيح البخاري: أبواب صلاة الخوف، بَابُ صَلاَةِ الطَّالِبِ وَالمَطْلُوبِ رَاكِبًا وَإِيمَاءً، حديث رقم (٩٤٦).
(٢) فتح الباري لابن حجر: ج٧، ص٤١٠ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).
(٣) ففي الحديث عَنْ الحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَقْضِي؟»، فَقَالَ: أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟»، قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟»، قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ» والحديث أخرجه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ الأَحْكَامِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي القَاضِي كَيْفَ يَقْضِي، حديث رقم (١٣٢٧) وفي الحديث ضَعْف كما قال الشيخ أحمد شاكر في التعليق.

إيجابيات أكثر وأعظم)[1]. وإن مجرّد التشجيع الإيجابي بما في الولد من مهارات تميّزه عن غيره، تجعله توّاقًا إلى الازدياد الإيجابي في الاستقلالية والتميز والريادة، وها هو رسول الله ﷺ يركّز في مدحه لأحد الشباب على قيمة إيجابية فيه تُحرّكه نحو الازدياد من التميّز لصالح الدين، فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»[2]. **وبتحليل يسير لهذا الموقف يتبيّن الآتي:**

١. **استخدام المُرَبّي السؤال المثير: (أيّ آية معك من كتاب الله أعظم؟).**
٢. **استجابة الشاب إلى الجواب على السؤال، فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].**
٣. **التشجيع اللفظي وغير اللفظي (المادي والمعنوي): حين ضرب الرسول ﷺ على صدر الغلام، وقوله له: (ليهنك العلم).**
٤. **التدليل باسم جميل باستخدام الكنية (يا أبا المنذر).**

ويظهر من كل ما سبق أن النبيّ ﷺ نوَّعَ وسائلَه في تربية الأبناء على الاستقلالية والتشجيع على التميز في التفكير مع الالتزام بالضوابط الشرعية والسلوكية.

---

(١) بناء الأجيال: د. عبدالكريم بكار، ص٦٤، ٦٥ سلسلة كتاب البيان، ط١/ ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م، مجلة البيان، السعودية (بتصرف).

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، حديث رقم (٨١٠).

الأساس الثاني

التربية الإبداعية للأولاد وتشجيعهم على الابتكار

إنَّ من بين أهمّ ملامح التربية المُبدعة للأبناء تشجيعهم على الإبداع والابتكار، ولقد كان من منهج سيدنا الرسول ﷺ في التربية أنه كان يُشَجّع الشباب والأبناء على الإبداع، وتعدَّدت أساليبه ﷺ في التشجيع على التربية الإبداعية، **ومن بين تلك الوسائل ما يلي:**

أولا: التشجيع والتحفيز الذاتي للشباب: لقد كان النبيّ ﷺ يشجّع الشباب ويحفّزهم على الإبداع في مجالاته المختلفة؛ فهذا خالد بن الوليد – رضي الله عنه– يمتدحه الرسول ﷺ بقوله: (**قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير**)[(١)] حتى صار قائدًا عسكريًّا فائق العطاء والجودة، وما دخل معركةً إلا ونصرهُ الله تعالى.

ثانيًا: توظيف الموهبة المبدعة مباشرة: ولقد كان من الإبداع النبوي في التربية أنّ النبيّ ﷺ أعطى أصحاب الموهبة أمرًا بمباشرة إبداعهم، مثلما صنَعَ مع أبي محذورة ﷺ، الذي باشر الأذان للمسلمين في مكة –كما سبق ذكر القصة–، وحسان بن ثابت ﷺ الشاعر، الذي وظّفَه الرسول ﷺ في هجاء من اعتدى على مقام الرسول ﷺ في نبوّته ورسالته، فقال له النبيّ ﷺ: (**اهج قريشًا، فإنه أشدّ عليهم من رشق النبل**)[(٢)].

ثالثًا: استنفار العقول بالألغاز والإثارة: وتلك وسيلةٌ عملية في تشجيع الذهن على التفكير المبدِع، وقد كان نبيّنا ﷺ يسأل الصحابة أسئلة كثيرة

(١) الطبقات الكبرى: أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتَوَفَّى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ج٤، ص١٩٠، ط١/ ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية– بيروت.

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبيّ: ج٢، ص٥١٦ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

تحفّز العقول نحو الإبداع، كمثل سؤال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**»[١] وسؤال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**»[٢] وسؤال: «**أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا**»[٣] ومثل قوله ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ ﴿**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ**﴾[٤]. وفي موقف سيدنا عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما– دليل على استنفار العقول بغرَض الإعانة على الابتكار كما في سؤال النبيّ ﷺ أصحابه عن النخلة.

رابعًا: تنمية القُدرة على التعلّم الذاتي: كما أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت ﷺ بمباشرة عمله في ترجمة اللغة الأجنبية له ﷺ، وفي ذلك دليل إعانة على التعلم الذاتيّ، إلا أن النبيّ ﷺ لم يُشَجِّع على ذلك إلا بعد أن اختبر زيدًا اختبارًا فرديًّا.

يقول الإمام الذهبي ɵ عن سيدنا زيد ﷺ: (...وكان أحد الأذكياء، فلما هاجر النبي ﷺ أسلم زيد، وهو ابن إحدى عشرة سنة، فأمره النبي ﷺ أن يتعلّم خط اليهود، ليقرأ له كتبهم، قال: "**فإني لا آمَنهُم**")[٥]. فاستثمرَ النبيُّ ﷺ ذكاء سيدنا زيد –رضي الله عنه– وحُسْن حفظه. وبناءً على هذا فقد ظهر جليًّا أثر الاقتداء بالنبيّ ﷺفي إضاءة الطريق ورسم معالمه للآباء والمربّين بل ولكل البشر.

(١) صحيح مسلم: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم (٢٥٨١). وعند الإمام أحمد في مسنده بلفظ (من المفلس؟) حديث رقم (٨٠١٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْغِيبَةِ، حديث رقم (٢٥٨٩).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، حديث رقم (٦٠٤٣).

(٤) سنن ابن ماجه: أبواب الفتن، بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، حديث رقم (٣٩٧٣). قال شعيب: (حديث صحيح).

(٥) سير أعلام النبلاء: ج٢، ص٤٢٧، ٤٢٨ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

المطلب الثاني:

أساليب النبيّ ﷺ في التربية

الأسلوب الأول: التربية بالموعظة الحانية والحوار الإيجابي

الأسلوب الثاني: التربية بالقدوة الصالحة والسّمت الصالح

الأسلوب الثالث: التربية بالإرداف والمصاحبة للأولاد

الأسلوب الرابع: التربية بالقصة والحِكايَة

الأسلوب الخامس: التَّصَابي واللعِب مع الأولاد

الأسلوب الأول:

التربية بالموعظة الحانية والحوار الإيجابي

لقد كان النبيّ ﷺ يتقرّب من الغلمان ويعظهم وينصحهم بأسلوب التشويق والتحفيز ويتفاعل معهم؛ ففي الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ الله ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ:

"أَلَمْ يَقُلِ الله: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤] ثُمَّ قَالَ لِي: «لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»، قَالَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] «هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»(١).

ففي هذِه الرواية ما يؤكد على أنّ من التربية النبوية الوعظ بأسلوب التحفيز والتشويق، وفائدة ذلك في أنّها تجعل المستمع ينتبه إلى المتحدّث جيدًا ويهتم بطريقة الإنجاز والانضباط.

ومن أشهر الأمثلة على التربية بالنصيحة حديث الشاب الذي أراد الزنا يومًا، فجاء يستأذن رسول الله بخصوص هذا؛ ففي الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ.

فَقَالَ: "ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا".

قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ: لا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ".

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ، حديث رقم (٤٤٧٤).

قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟" قَالَ: لا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ

قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ".

قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟" قَالَ: لا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ".

قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ".

قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ: لا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ".

قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[(١)]. إنه حوارٌ أنتج عقلا يفكر بطريقة سليمة، بدلا من الانحراف الفكريّ والسلوكيّ.

ومن فوائد هذا الحديث التربوية:

١. أنّه يجب على من يمتطي جواد التربية أن يُعايِش واقعَ من يربيه، وأن يتعامل معه على أنّه بشر مثله، فليس ملكًا ولا شيطانًا.

٢. أنّ قُرب المربي من الولد يزيده ثقة في أن يتكلم دون خوف أو هلع، متيقّنًا أن المربي يريد له الخير، ويبحث له عن حل لمشكلته، وليس باحثًا عن خطأ ليعاقبه عليه.

٣. أهمية الموعظة والحوار العقلي والنصيحة الرقيقة في التربية وتغيير السلوك.

(١) مسند الإمام أحمد: تتمة مسند الأنصار، حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ الصُّدَيِّ بْنِ عَجْلانَ بْنِ عَمْرٍو، وَيُقَالُ: ابْنُ وَهْبٍ الْبَاهِلِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم (٢٢٢١١)، ج٣٦، ص٥٤٥. وقال عنه شعيب في التحقيق: "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح".

٤. ضرورة التعامل مع المشكلات والأزمات التربوية بالحكمة لا بالغلظة والشدّة.

٥. الدعاء للأولاد وسيلة عظيمة لها أكبر الأثر في هدايتهم. كما جاء في كتب السُّنّة حديث عُمَر بْن أَبِي سَلَمَةَ، يَقُولُ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «يَا غُلاَمُ، سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ[(١)].

ويستفاد تربويًّا من هذا الموقف وأشباهه، ما يلي:

١. استحباب التربية بالتعليم والنصيحة الرقيقة؛ يقول ابن حجر في الفتح: (وفي الحديث:... استحباب تعليم أدب الأكل والشرب، وفيه منقبة لعمر بن أبي سلمة لامتثاله الأمر ومواظبته على مقتضاه)[(٢)]. وهكذا ظهر أثر التربية النبوية الممزوجة بالموعظة الحانية والنصيحة الرقيقة، فقد استجاب الغلامُ ولبَّى ما نصحه به رسول الله ﷺ.

٢. أفضل التربية ما كان في الصغر؛ فالنفس على استعداد في زمن الصغر لاستقبال التوجيه والمفاهيم أكثر ممن كبُر سنّه، ولعل مما اشتهر على ألسنة الناس: التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

٣. تعويد المربي نفسه على ضبط النفس، حتى عند بروز ما تشمئز منه النفس في الطعام أو الشراب أو في أي سلوك آخر يخرج عند حدّ الأدب.

(١) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالأَكْلِ بِاليَمِينِ، حديث رقم (٥٣٧٦).
(٢) فتح الباري لابن حجر: ج٩، ص٥٢٣. (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

٤. عِظم النتيجة البارزة من وراء النصيحة الرفيقة والموعظة الرقيقة للأولاد. (والحوار يؤمّن التفاعل، ويؤمّن أيضًا بناء شخصية الطفل، ويبصِّره بما تحتاجه معركة الحياة من فهم وصبرٍ واستعداد)[١]. ولا بد من انتقاء الوقت المناسب لتقديم النصيحة والموعظة، كأوقات الطعام، وعند نوم الطفل، وفي وقت مرضه، ويمكن أيضًا في أوقات الترويح والترفيه، دون زجر أو تنقيص.

(١) التواصل الأسري (كيف نحمي أسرنا من التفكك): أ.د/ عبدالكريم بكّار، ص١٢، ١٣، ط٣/ ١٤٣٢هـ= ٢٠١١م، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، ومؤسسة الإسلام اليوم، الرياض– السعودية.

الأسلوب الثاني:

التربية بالقدوة الصالحة والسّمت الصالح

مما لا شكّ فيه أنّ القدوة تعدّ من أهم أُسس التربية الناجحة -كما يقرر علماء التربية والسلوك-، والطفل يميل بطبيعة مرحلته العمرية إلى المحاكاة وهي غريزة فطرية في نفس الطفل، فإذا كان المُرَبّي قدوة حسنة أمام عين مَن يقوم بتربيته ترسّخت في نفسه الخلال الطيبة والقيم الكريمة.

ويمكن للمربّي أن يتحدث بكلام مؤثّر في نفسية المتربّي، لكن هذا التأثير سيكون مؤقتًا بزمن، لكن بلوغه درجة التأثير الكبرى حين يتحول الكلام المؤثّر إلى فعل وسلوك يطبع في الذّهن أثرًا نافعا وفي القلب محبة للاقتداء به، (...ويعتبر الآباء بمثابة مصفاة filter تصفّي أو تنقي القيم قبل عبورها إلى الطفل، كما أنهم نماذج models أمام الأطفال يقلّدونها... والأطفال دائمً يميلون إلى تقليد الآخرين، وفي مقدمتهم الآباء كنماذج، ويطلق المتخصصون في علم النفس على ذلك التطابق والتوحّد وعلماء الاجتماع يطلقون مصطلح المحاكاة immitaion)[1]. وعلى هذا فإنّ التأسي بالآخرين فطرة في النفس البشرية، وخاصة في حياة الأطفال والأبناء مع مراحلهم العُمرية الأولى.

فإنّ (الطِّفل كالصفحة البيضاء تقبل أيّ كلمة تُكتب عليها بأيّ لون من المِداد، وبأيّ لغة معينة. فالصفحة البيضاء، تقبل المِداد الأحمر، والأزرق، والأخضر، والأسود. والصفحة البيضاء كذلك تقبل الكلمة: عربية كانت، أو إنجليزية، أو ألمانية، أو أوروبية، أو مالوية. والصفحة البيضاء تقبل أسلوب الكلمة: سواء كان مهذّبًا رقيقًا، أو مسفًّا بذيئًا... فإنّ نفسيّة الطفل كالورقة

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته: د. زكريا الشربيني، ود. يسرية صادق، ص٩٣، ٩٤، ط. دار الفكر العربي- مصر: ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م (بتصرف).

البيضاء تقبل أيّ شيء يسطّر عليها، وإذا ما سُطِّر صار جزءًا من شكلها وذاتيتها)[١].

وبنظرةٍ يسيرة إلى سيرة صاحب الخُلُق العظيم كما وصفه الله تعالى في القرآن الكريم، تراه إمامًا وزعيمًا بالأسوة الحسنة، وقد أمرنا الله تعالى بالتأسّي به؛ فقال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

إنّ الطفل إذا فقد القدوة فيمن يُربيه فسوف يفتقد كل شيء، ولن ينتفع بموعظة ولا نصيحة ولا كلمة. ولذا فإن الأب الذي يسبّ ويشتم، سيحصد حتمًا تقليد ولده له في أن يشتم غيره وأن يسبّ، والأُم التي اعتادت عدم التستّر في ملبسها لا يمكن أن تُجبر ابنتها على الحشمة والوقار في الملبس، والأبُ الذي يُدخِّن لا يمكن أن ينصح ولده بعدم التدخين –حتى وإن لم يشرب أمام والدِه فمن الوارد أن يشربها خِلْسَةً– وهكذا.

والأبناء يسرقون الطِّباع من أقرب الناس إليهم –وهم الآباء– فيقلدونهم ولو في الخُلُق السيئ. **وقد قيل قديمًا: «إنما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه»**[٢].

ومعلوم أن الأبناء يولدون على الفطرة النقية السويّة، غير أنّ عوامل التربية السلبية أنتجت جيلا مقطوعًا عن دينه، ورد في الحديث: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ

(١) الدعوة الإسلامية في عهدها المدني (مناهجها وغاياتها): أ.د/ رؤف شلبي، ص٢٨٣، ط١/ ١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م، دار الآثار للنشر والتوزيع، مصر.

(٢) سراج الملوك: أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفِهْرِيّ الطُّرْطُوشِيّ المالِكِيّ (المتَوَفَّ: ٥٢٠هـ)، ص٨١، ط: ١٢٨٩هـ= ١٨٧٢م، من أوائل المطبوعات العربية– مصر.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] الآيَةَ[(١)].

وفي الحديث عن عبدالله بن عامرٍ، أنه قال: دعتْني أُمي يوماً ورسولُ الله ﷺ قاعِدٌ في بيتنا، وقد سبق أنّ النبيّ ﷺ قال لأمّ عبدالله بن عامر: (**أما إنَّك لو لم تُعْطِه شيئاً كُتِبَت عليك كذبةٌ**"[(٢)]. فإذا كان الأب أو الأم يتحركان ويتعاملان بالكذب مع الأبناء ومع الناس من حولهم، فكيف يُرجَى أن يخرج من إنتاجهم إيجابية في الجيل الناشئ؟!! ومن هنا يجب التزام السُّلُوك القويم في الحديث مع الأبناء وعدم الكذب عليهم، أو اعتياد الكذب أمامهم مع الآخرين، أو في المكالمات الهاتفية، أو الحوار في الجلسات العائلية...

ومما يؤكّد الرحمة والرّفق والملاطفة والودّ عند سيد الخلق ﷺ، ما رواه أحدُ غلمانه ممن خدموه سنوات وهو سيدنا أنس بن مالك ﷺ، حيث يقول: **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا**، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ –قَالَ: أَحْسِبُهُ– فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**» نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلاَةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا[(٣)]. وتلك هي بعض ملامح القدوة السلوكية في تصرفات وحركات سيدنا رسول الله ﷺ في إعداد وتكوين الأبناء.

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، حديث رقم (١٣٥٨).

(٢) سنن أبي داود: أول كتاب الأدب، باب في الكذب، حديث رقم (٤٩٩١). وقال عنه شعيب: (حديث حسن لغيره).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَابُ الكُنْيَةِ لِلصَّبِيِّ وَقَبْلَ أَنْ يُولَدَ لِلرَّجُلِ، حديث رقم (٦٢٠٣).

الأسلوب الثالث:

التربية بالإرداف(١) والمصاحبة للأولاد في الترحال والأعمال

المصادقة والمُصَاحَبَة والمرافقَة من أساسيات التربية الناجعة، وقد كان النبيّ ﷺ يُصادِق ويُرْدِف الأبناء معه في السفر والترحال؛ للتعليم والتعوّد على الجرأة، **ومن أمثلة ذلك ما يأتي:**

١. جاء في رواية الإمام البخاري في الصحيح من حديث عبدالله بن عَبَّاسٍ – رَضِيَ الله عَنْهُمَا– قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ ﷺ **رَدِيفَ** رَسُولِ الله ﷺ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ الله، إِنَّ فَرِيضَةَ الله عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: "نَعَمْ". وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ(٢)..

٢. **إرداف الفضل بن العباس وأسامة بن زيد في أيام الحجّ**، فعن ابْنِ عَبَّاس –رضي الله عنهما– أَنَّ أُسَامَةَ بن زيد –رضي الله عنهما– كَانَ **رِدْفَ** النَّبِيِّ ﷺ، مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ **أَرْدَفَ** الْفَضْلَ مِنَ المُزدلفة إِلَى مِنًى قَالَ: فَكِلَاهُمَا قَالَ: لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ(٣).

٣. **الرسول ﷺ يُرْدِف معاذ بن جبل ويعلّمه:** فقد ورد في حديث معاذ ﷺ – وهو حديث مشهور– أنه قَالَ: كُنْتُ **رِدْفَ** النَّبِيِّ ﷺ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤخرَةُ الرَّحْلِ. فَقَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ

---

(٢) يقول ابن الأثير في النهاية: (ج٢، ص٢١٦)، ردف أي تتابع؛ ففِي حَدِيثِ بَدْر (فَأَمَدَّهُمُ اللَّهُ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) أَيْ: مُتَتابِعين يَرْدِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وعلى هذا: فإنّ الردف هو المصاحبة والمصادقة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحج، بَابُ وُجُوبِ الحَجِّ وَفَضْلِهِ، حديث رقم (١٥١٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس: كتاب الحج، بَابُ الرُّكُوبِ وَالارتِدَافِ فِي الحَجِّ، حديث رقم (١٥٤٤).

سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: "هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟" قَالَ: قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: " فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا "، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. قَالَ: يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: "هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟" قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ"(١).

٤. **إرداف سيدنا عبدالله بن عباس وتعليمه أمور الاعتقاد**، وقد سبق حديث: (يَا غُلامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله....)(٢).

وعلى هذا الهدْي النبوي الكريم في التربية بالصحبة والصداقة سار المربُّون من بعده من أصحابه والتابعين، **ومن أمثلة ذلك ما يلي:**

١. في حديثٍ عن عَلِيّ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: كُنْتُ **رِدْفَ** عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ. فَلَمَّا اسْتَوَى قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾- وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ: ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ ثَلَاثًا. ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ وَكِيعٍ – سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. ثُمَّ ضَحِكَ، قُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ **رِدْفًا** لِرَسُولِ الله ﷺ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، حديث رقم (٦٢٦٧)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، حديث ر قم (٣٠).

(٢) سبق تخريجه.

فَفَعَلَ كَالَّذِي رَأَيْتَنِي فَعَلْتُ ثُمَّ ضَحِكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: "قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَجِبَ لِعَبْدِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي"[(١)].

٢. وفي حديث ابن عمر من مرافقته لأبيه في مجلس شيوخ الصحابة: فعن ابن عمر –رضي الله عنهما– أنه قال: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ، لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَلاَ يَتَحَاتُّ» فَقَالَ القَوْمُ: هِيَ شَجَرَةُ كَذَا، هِيَ شَجَرَةُ كَذَا، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ، وَأَنَا غُلاَمٌ شَابٌّ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**» وَعَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنَا خُبَيْبُ بْنُ عبدالرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: مِثْلَهُ، وَزَادَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرَ فَقَالَ: (لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا)[(٢)]. وفي ذلك دليل على مصاحبة الغلمان والصبية في مجالس الكبار، بل وتشجيعهم للكلام بما يعرفون ويفهمون من الحق، وعلى هذا أعلن عمر بن الخطاب ﷺ فرحته لو أنّ ولده قال الإجابة دون استحياء.

(١) مسند أحمد: ومن مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم (١٠٥٦)، وقال عنه الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَابُ مَا لاَ يُسْتَحْيَا مِنَ الحَقِّ لِلتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، حديث رقم (٦١٢٢).

الأسلوب الرابع:

التربية بالقصة والحكاية

من أهم أساليب التربية الناجعة: استخدام القصة المعبّرة والمحفزة نحو الاستقلالية والتميّز، كحكاية قصة غلام أصحاب الأخدُود[(١)]؛ ففيها تربية على الاستقلالية والتميز الذاتي، فإن الغلام لم يقبل أن يكون تبعًا لغيره بلا تفكر، فترك تبعية الساحر والملك الظالم، وتبع الراهب العابد الصالح، وهدى الله به الناس؛ فكلما كان الابن متميّزا في ذاته، منتفعًا بخبرات غيره دون الذوبان في شخصياتهم، كلما كان أكثر تأثيرًا في المجتمع من حوله. ومن المعلوم أنّ للقصة أثرها التربوي في تغيير الأفراد وسلوكياتهم إما إلى الصواب أو الخطأ من التصورات والتصرفات، وقد رأينا في مجتمعاتنا اليوم مدى تأثر الناس – بجميع مراحلهم العمرية– بالدراما والتمثيل، وما هي إلا قصص حاكها المؤلّف وصاحب السيناريو.. ولذا فالقصة ذات أثر بالغ في تغيير النفوس، وقد أمر الله تعالى نبيه عليه السلام: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وللقصة أغراضها التربوية، منها:

١. تصحيح المفاهيم الخاطئة في الاعتقاد والتعبد والأخلاق.
٢. غرس القيم الفاضلة بكافة أنواعها.
٣. تقديم النموذج العملي للسلوك الأخلاقي في حياة الأبناء.

(١) وردت إشارة إليها في القرآن الكريم في سورة البروج، وورد ذكرها في السنة النبوية في أكثر من كتاب من كُتب السنة، فوردت عند مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥)، وعند أحمد في المسند: أَحَادِيثُ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث صُهيب، حديث رقم (٢٣٩٣١).

الأسلوب الخامس:

التَّصَابي واللعِب مع الأولاد

فلقد كان من وسائله ﷺ في تربية أبنائه وأحفاده التصابي لهم واللعب معهم، وملاطفتهم بما يمكنه القيام به، وهذه دُررٌ من سنّته وسيرته عليه السلام:

١. **الحسن والحسين يرتحلان رسول الله ﷺ**؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ الْعِشَاءَ، فَكَانَ يُصَلِّي، فَإِذَا سَجَدَ **وَثَبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ**، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ أَخَذَهُمَا فَوَضَعَهُمَا وَضْعًا رَفِيقًا، فَإِذَا عَادَ عَادًا، فَلَمَّا صَلَّى جَعَلَ وَاحِدًا هَا هُنَا وَوَاحِدًا هَا هُنَا، فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا أَذْهَبُ بِهِمَا إِلَى أُمِّهِمَا؟ قَالَ: «لا» فَبَرَقَتْ بَرْقَةً، فَقَالَ: «الْحَقَا بِأُمِّكُمَا» فَمَا زَالَا يَمْشِيَانِ فِي ضَوْئِهَا حَتَّى دَخَلا[(١)]. وقد تساءل الصحابة حين غاب رسول الله في القيام من سجوده: أحدث شيء؟ وقد أخرج الحاكم في مستدركه من حديث عبدالله بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعَشِيِّ الظُّهْرِ أَوِ الْعَصْرِ وَهُوَ حَامِلٌ أَحَدِ ابْنَيْهِ الْحَسَنِ أَوِ الْحُسَيْنِ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ عِنْدَ قَدَمِهِ الْيُمْنَى، فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ، وَإِذَا الْغُلَامُ رَاكِبٌ عَلَى ظَهْرِهِ فَعُدْتُ فَسَجَدْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ سَجَدْتَ فِي صَلَاتِكَ هَذِهِ سَجْدَةً مَا كُنْتَ تَسْجُدُهَا أَفَشَيْءٌ أُمِرْتَ بِهِ؟ أَوْ كَانَ يُوحَى إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنِ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجَلَهُ**

(١) المستدرك على الصحيحين: كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب: وَمِنْ مَنَاقِبِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حديث رقم (٤٧٨٢)، وقال عنه: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي.

حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»[(١)].

٢. **النبيّ ﷺ يُلاطِف الصّغار ويُداعبهم**؛ ففي الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال: إِن كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، **مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**[(٢)]»[(٣)]. وفي لفظ آخر عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ **فَطِيمًا**، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**» نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلاَةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا[(٤)].

٣. **الرسول ﷺ يُشارِك الصبية في اللعب بالنّبل -كجزء من المشاركة لهم والتصابي معهم-**؛ ففي الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ ﷺ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ» قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ؟»، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»[(٥)][(٦)].

---

(١) المستدرك: كتاب معرفة الصحابة ﷺ، باب: وَمِنْ مَنَاقِبِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حديث رقم (٤٧٧٥)، وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

(٢) قال ابن الأثير في النهاية: هُوَ تَصْغِيرُ النُّغَرِ، وَهُوَ طَائِرٌ يُشْبِه العُصْفور، أَحْمَرُ المِنْقار، ويُجمع عَلَى: نِغْرَان [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٥، ص٨٦ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ)].

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَابُ الانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ، حديث رقم (٦١٢٩).

(٤) المرجع نفسه: كتاب الأدب، بَابُ الكُنْيَةِ لِلصَّبِيِّ وَقَبْلَ أَنْ يُولَدَ لِلرَّجُلِ، حديث رقم (٦٢٠٣).

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى الرَّمْيِ، حديث رقم (٢٨٩٩).

(٦) ومع كون ما فعله النبيّ ﷺ ملاعبة وملاطفة حميدة للأولاد، إلا أنها تُعد كنوع من التربية بتفريغ طاقة الأبناء والبنات في عمل إيجابي ومنفعة حقيقية؛ فإنّ طاقات الأبناء إن تُرِكَت بلا توظيف حسنٍ لها، لا شكّ أنها

٤. **الرسول ﷺ يُخرِج لسانه للطفل ملاعبة وملاطفة؛** فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ **يُدْلِع**[(١)] **لِسَانَهُ لِلْحُسَيْنِ، فَيَرَى الصَّبِيُّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ،** فَيَهَشُّ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ: أَلَا أَرَاهُ يَصْنَعُ هَذَا بِهَذَا، فوَاللهِ إِنَّهُ لَيَكُونُ لِيَ الْوَلَدُ قَدْ خَرَجَ وَجْهُهُ وَمَا قَبَّلْتُهُ قَطُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(مَنْ لَا يَرْحَمْ لا يرحم)**[(٢)].

٥. **إتاحة الفرصة للصبيان بممارسة الألعاب أو مشاهدتها ما لم تلهِهم عن أصل من أُسس الدين وأولويات الحياة:** فهذا رسول الله محمد ﷺ كان يتيح الفرصة لأم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– لممارسة اللعب مع مثيلاتها، وكان يراعي حاجتهنّ كبنات، وكانت تلعب بحضرته ولا يُنكر عليها، بل كان يُسَرِّبهن إليها؛ ففي الحديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، «فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ[(٣)] مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ[(١)] إِلَيَّ

ستُوَظّف في أمر سيء حتمًا ولا بد؛ فالنفس إن لم تُشغَل بالخير شُغِلَت بالشرّ، ومن هنا كان من التربية النبوية توجيه طاقات الأبناء لما فيه منفعة وفائدة. ويُستفاد من ذلك واقعيًّا توظيف طاقات الأبناء في حفظ القرآن الكريم أو حضور دروس العلم، أو ممارسة نشاط رياضيّ، وكذا تنمية موهبة القراءة الحُرّة.. إلى غير ذلك.

(١) أَيْ: يُخْرِجه حَتَّى تُرى حُمْرتهُ فيَهَشُّ إِلَيْهِ، يُقَالُ دَلَعَ وأَدْلَعَ. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص١٣٠ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ)].

(٢) صحيح ابن حبان= الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتَوَفَّ: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتَوَفَّ: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، كِتَابُ إِخْبَارِهِ ﷺ عَنْ مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، مناقب الصحابة رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ، باب ذِكْرُ مُلاعَبَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، حديث رقم (٦٩٧٥)، ط١/ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت. وقال في التحقيق: (إسناده حسن).

(٣) ومعناه أنهن يتغيبن منه ويدخلن من وراء الستر، أي يتستّرن. [فتح الباري لابن حجر: ج١٠، ص٥٢٧]. (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

فَيَلْعَبْنَ مَعِي»[٢]. يقول ابن حجر (واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهنّ)(٣). (وقد أكّدت البحوث التربوية الحديثة على أهمية اللعب ونتائجه الإيجابيّة، في استمتاع الطفل – خاصة– بحياة سعيدة مليئة بالنشاط ومثيرة تنمي لديه حب الاستطلاع في البحث والتجريب والاختبار والاستكشاف، ومن ثم فاللعب وسيلة مهمة لبناء شخصية الطفل السوية بصفة عامة، ووسيلة للتعلم والتعليم والاستمتاع بالوقت بصفة خاصة)[٤].

ولا شكّ أن للّعب فوائد نفسية وتربوية وبدنية واجتماعية، ومنها كما تحدث علماء النفس:

- استنفاد الجهد الفائض والتنفيس عن التوتر الذي يتعرّض له الطفل.
- تعلّم الخطأ والصواب وبعض الأخلاق كالصدق والعدل والأمانة وضبط النفس عن طريق اللعب الجماعيّ.
- يدل اللعب بكثرة على ارتفاع الذكاء والفطنة، ويساعد على نموّ العضلات وتجديد النشاط[٥].

ومن طرائف التربية النبوية في اللعب والتصابي: أنَّ النبي ﷺ سمح لأمّ

---

(١) فَيُسَرِّبُهن أي: يرسلهنّ [المرجع نفسه].

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَابُ الانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ، حديث رقم (٦١٣٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر: ج١٠، ص٥٢٧. (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

(٤) فاعلية برنامج مقترح قائم على توظيف الوسائل والألعاب التعليمية البسيطة في تنمية المهارات الحياتية لدى أطفال مرحلة ما قبل المدرسة: يحيى لطفي نجم، ومحمد المقدم، مجلة التربية، كلية التربية بجامعة الأزهر، العدد (٩٥)، ديسمبر ٢٠٠٠م، ص٢٥٠ (بتصرّف).

(٥) فن وأساليب تربية ومعاملة الأبناء الأطفال والمراهقين: أ.د سناء محمد سليمان، ص٣٢، ط١/ ٢٠٠٩م، عالم الكتب– مصر.

المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– بأن تقتني ألعابًا بالبيت؛ لصغر سنّها ولميلها للألعاب المُجَسَّمة؛ ففي الحديث عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: **قَدِمَ رسولُ الله ﷺ من غزوة تَبوكٍ، أو خيبرَ، وفي سَهْوتها سِتْرٌ، فهبَّت ريحٌ فكَشَفَتْ ناحية السَّتر عن بناتٍ لعائشة لُعبٍ، فقال: "ما هذا يا عائشة؟ " قالت: بناتي، ورأى بينهنَّ فرساً لها جناحانِ من رِقاع، فقال: "ما هذا الذي أرَى وَسْطَهُنَّ؟ " قالت: فرسٌ، قال: "وما هذا الذي عليه؟ " قالت: جناحَان: قال: "فرسٌ له جَناحَان؟! " قالت: أما سمعَت أن لسليمان خَيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجِذَه "**[(١)].

وفي حديث آخر عن عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما– قَالَ: **كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ، قَالَ فَجَاءَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً**[(٢)]**، وَقَالَ: «اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ» قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِيَ: «اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ» قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ: «لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ» قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: قُلْتُ لِأُمَيَّةَ: مَا حَطَأَنِي؟ قَالَ: قَفَدَنِي قَفْدَةً**[(٣)]. ويظهر في الحديث أنّ النبيّ ﷺ داعب ولاعَب ابن عباس، ثم أمره بأمر ومهمة نداء سيدنا معاوية رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) سنن أبي داود : أول كتاب الأدب، باب اللعبِ بالبَنات، حديث رقم (٤٩٣٢) والحديث صحيح كما ذكر ذلك الشيخ شعيب الأرنؤوط في التحقيق.

(٢) يقول ابن الأثير: قَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ: الحَطْو: تَحْرِيك الشَّيء مُزَعْزَعاً. وَقَالَ: رَوَاهُ شَمِر بِالْهَمْزِ. يُقَالُ حَطَأَهُ يَحْطَؤُه حَطْأً: إِذَا دَفَعه بِكَفِّهِ. وَقِيلَ: لا يَكُونُ الحَطْء إلاَّ ضَرْبة بالكَفّ بَيْنَ الكَتِفَين. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ج١، ص٤٠٤].

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ مَنْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ سَبَّهُ، أَوْ دَعَا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ هُوَ أَهْلا لِذَلِكَ، كَانَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا وَرَحْمَةً، حديث رقم (٢٦٠٤). والقَفْد: صَفْع الرَّأْسِ بِبسْط الكَفّ مِنْ قِبَل القَفا. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٤، ص٨٩ (مرجع سابق)].

ويقول الإمام النووي في شرحه للحديث: (**وفي هذا الحديث جواز ترك الصبيان يلعبون بما ليس بحرام**، وفيه اعتماد الصبي فيما يرسل فيه من دعاء إنسان ونحوه من حمل هدية وطلب حاجة وأشباهه، وفيه جواز إرسال صبي غيره ممن يدل عليه في مثل هذا ولا يقال هذا تصرف في منفعة الصبي لأن هذا قدر يسير ورد الشرع بالمسامحة به للحاجة واطّرد به العُرف وعمل المسلمين.. والله أعلم)[(١)].

٦. **وكان من ملاطفات النبيّ ﷺ التربوية: تدليل الغلمان والصبية بندائهم بأحب الأسماء**، كالترخيم للاسم والتصغير له تدليلا وأُنسًا، كما كان يضحك معهم ويمازحهم، يحكي سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «**يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟**» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ[(٢)].

ويمكن للاستفادة من تلك المواقف السابقة، أن يشتري الأب لعبة للابن أو البنت.. تناسب مرحلته العمرية ويتابع معه في ممارستها، ويمكن الاستفادة من تعليقات الولد على اللعبة، وكيف يستفيد منها.

❁❁❁

(١) شرح النووي على مسلم: ج١٦، ص١٥٦ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَابُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، حديث رقم (٢٣١٠).

المبحث الرابع:

سُبُل الإفادة من هدي النبيّ ﷺ في تربية الأبناء

إنّ المتأمّل في كل ما سبق من مَزايا الهدي النبويّ في التربية التي سار عليها رسول الله ﷺ يكتشف أنّ لكل هذا أثرًا ونتاجًا إيجابيًّا في إخراج جيل فريدٍ من نوعه، استطاع أن يصلَ بالإسلام ورسالته إلى آخر ربوع الدنيا حينها.

ولا شكّ أنَّ من تلمّس ذلك الهدْي واتّبع خطواته سيُنتِج جيلا أرقى وأعلى مما نراه في واقع الحياة اليوم، أو على الأقلّ يستطيع أن يُخفّف عن المُجتمع شدة وطأة الانحراف السلوكي والأخلاقي المعاصر. هكذا أكّد الإمام أبو حامد الغزالي –رحمه الله– بقوله: (...لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ: "حَسِّنوا أخلاقكم"[(١)] وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد،،، وكل ذلك تغيير للأخلاق...)[(٢)].

وعلى هذا فإن هناك فوائد كثيرة من منهجه ﷺ التربويّ، للوالدين والمؤسسات التربوية في البلاد، وكذا للدعوة الإسلامية، **وذلك من خلال سبل التطبيق الواقعية للهدي النبوي في حياة المربين، من خلال التالي:**

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ: يا معاذ حَسّن خلقك للناس (منقطع) ورجاله ثقات اهـ، وقال ابن السبكي: لم أجد له إسنادًا. [انظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للحافظ العراقي: ج٤، ص١٥٨٣ (مرجع سابق)]. وربما يؤكّد هذا اللفظ ما ورد في شعب الإيمان مما رُفِع إلى أبي الدرداء، وفيه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّى الشَّرَّ يُوقِهِ...). [ينظر: شعب الإيمان: رقم (١٠٢٥٤)، ج١٣، ص٢٣٦].

(٢) إحياء علوم الدين: ج٣، ص٥٥، ٥٦ (مَرْجِعٌ سَابِقٌ).

١. **العمل على تنمية الجانب الإيماني والتعبدي لدى الأبناء عمليًّا**، ومن بين الوسائل التي يمكن تعويد الأبناء عليها متابعة الأداء للصلوات المفروضة والتشجيع والمكافأة على القيام بها، تحفيز الهِمَم لأداء السنن والرواتب، تلاوة القرآن والاستماع إليه، الأذكار الصباحية والمسائية وأذكار الأحوال، القيامة بالأعمال التطوعية، زيارة المقابر والمرضى، حضور مواطن الذِّكْر ودروس العِلْم.....

٢. **حماية الأبناء مما يضرّهم في عقيدتهم أو عبادتهم أو سلوكياتهم الحياتية**؛ كما كان حرص الرسول على ذلك في وصاياه ونصائحه للآباء والأمهات، ففي الحديث عَنْ جَابِرٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "**إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ، أَوْ قَالَ: جُنْحُ اللَّيْلِ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ، وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ**"(١). فتلك فائدة من هدي الرسول في المحافظة على الأبناء مما يؤذيهم أو يضرهم. ويمكن قياسًا على ما ذُكِر في الحديث ألا نعرِّض أبناءنا لوساوس شياطين الإنس من شبهات وشهوات مبثوثة في المجتمع، وكذا الحرص على عدم تضييع أوقاتهم في لَهْوٍ إليكترونيّ –كألعاب البابجي، والفورت نايتس– يأكل وقت الأبناء والبنات اليوم.

٣. **السماح لهم بممارسة اللهو المباح:** فإنَّ بعض المربين –للأسف الشديد– يمنع المرح عن أولاده، وربما يبالغ بالتضييق على أبنائه بمنع الشاشات والفضائيات والأندية والتليفون المحمول وخلافه؛ ظنًّا منه أنه يحافظ عليهم، بينما يكتشف بعد حين أن الولد أو البنت ذهبت للجامعة فتعرّفت على صديقاتها وفُتِحت عيناها على كل ما مُنعت منه، فأضحت

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم (٣٢٨٠).

ترغب فيه حُبًّا للاستطلاع. لذا ينبغي تربويًّا التوازن والاعتدال في مراعاة نفسية الأبناء وتلبية متطلباتهم المباحة دون تضييق أو إحباط.

٤. **ضرورة العمل على غرس المفاهيم الصحيحة نحو الحياة والأحياء**؛ فالإسلام لا يصطدم مع الكون في شيء، بل يدعو إلى التفاعل مع الكون، وإعلان المحبة لما خلقه الله تعالى في هذا الكون الذي يحتوينا كبشر، حتى من الجمادات، كحُبّ الرسول ﷺ لجبل أُحُد يوم قال: **(هذا جبل يحبّنا ونحبه)**(١).

٥. **تعويد الأبناء على تحمّل المسؤولية نحو أنفسهم ونحو أهاليهم ونحو دينهم ونحو أُمّتهم ومجتمعاتهم**؛ فإن الاتكالية باتت تقتل كل جميل في شبابنا، وللأسف الشديد تورّط كثير من الآباء والأمهات في تعويد الأبناء على الكسل والخمول، وعدم تحمل المسؤولية، من خلال قضاء حوائجهم دائمًا بيد غيرهم، دون تحريك لهم نحو العمل والأخذ بالأسباب. **ومن الصور المحزنة مثلا في واقعنا التربويّ المعاصر**: أن نرى الأب أو الأمّ تعوّد أبناءها على القيام من النوم دون أن يطوي كل ولد من الأولاد فراشه، أو أن يُرتّب أغراضه؛ فقد اعتمد على أن هناك من سيُرَتّب له ويطوي له فراشه، ويقوم بعمله وواجباته التي ينبغي أن يقوم بها. فكيف ننتظر ممن تربّى على هذا النحو أن يتحمّل مسؤولية يومًا من الأيام؟

٦. **استخدام القصة في علاج السلوكيات الخاطئة**، كما كان النبيّ ﷺ يفعل مع شباب الأمة ورجالها، وما أكثر القصص الصحيح في السنة النبوية. مع ضرورة التركيز على العبرة من القصة؛ فليست للتسلية فحسب.

٧. **التركيز على ملامح القدوة في حياة الآباء والأمهات**؛ فالسلوك يُسجّل في أذهان الأبناء أَنّ بداية طريق الإصلاح الحقيقي والتربية النافعة: إصلاح النفس المُرَبّية، وتلك وصية الإمام الشافعي –رحمه الله–، أرشد

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَابٌ: أُحُدٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، حديث رقم (٤٠٨٣).

بها مؤدِّب أولاد هارون الرشيد ، فقال له: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك؛ فإنَّ أعينهم معقودةٌ بعينك، فالحَسَن عندهم ما تستحسنه، والقبيحُ عندهم ما تركْتَه»(١). ويقول جان جاك روسو(٢) للمربّي: "لكي تحفظ الأطفال من الرذائل التي ليست فيهم، فليس لديك سوى حماية واحدة، –هي خير من الخطب التي لا يفهمونها بقلوبهم ولا بعقولهم– وهي هذه القدوة الخُلُقِيّة المتمثّلة فيمن يحوطونهم، وخاصّة أمهاتهم اللائي يحببنهم أكثر مِن كل مَنْ في الوجود"(٣) وهذا مما يبيّن خطورة ارتكاب الأخطاء أمام الأبناء في الحياة الأسرية. وليعلم الآباء والمربون جميعًا أنّ التربية بالسلوك العملي هي الأساس في تقويم اعوجاج الأبناء، بل هي الأساس في تربية الأبناء على الفضائل والمكرمات وسائر الخصال الخيّرة.

٨. **يجب على المربين استيعاب أنّ أخطاء الأبناء المتكررة لها أسباب**، قد يكون الأب سببًا فيها؛ فسلوكيات الأبناء الخاطئة أعراض وليست أمراضًا، وهي بمثابة ردّة فعل على سلوك مضادّ له. ولذا ينبغي عمليًّا البحث عن الأسباب الرئيسة التي تدفع في نفوس الأبناء الوقوع في الأخطاء، وحكمة المربي النّاجِع في تحليله للأسباب وتحديد المشكلات

(١) تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المَتَوَفَّى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشّار عواد معروف، ج٤، ص٣٠٦، ط١/ ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان.

(٢) هو المفكر والأديب الفرنسي جان جاك روسو: ١٧١٢– ١٧٨٨م، يعد رائد الرومانسية الحديثة، وكان فيلسوفًا اجتماعيًّا، طوّر النظرية الاشتراكية" [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، ج٢، ص٨٦٠، ط٤/ ١٤٢٠هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع– السعودية.

(٣) مشكلات الساعة: د. محمد غلاب، ص٦٥، نقلاً عن: أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية: د. محمد محمد أبو زيد، ص٤١، ط١/ ١٤١٢هـ= ١٩٩١م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة– مصر.

بطريقة سليمة، للبحث عن وسائل العلاج الناجعة.

٩. **التعامل مع الأطفال على أنهم أطفال صغار، وليس على أنهم كبار؛** فالأطفال في سنّهم يحتاجون إلى المحبة والوُدّ، وينبغي أن تكون كل هذه المبادئ التربوية مع كل الأبناء سواء كانوا من صُلْب الإنسان أو من صُلْب غيره.

١٠. **ضرورة مراعاة البيئة التي ينشأ فيها أبناؤنا اليوم؛** بحيث ينظر المُرَبُّون بعين الواقع إلى ما عليه أبناؤنا وشبابنا اليوم، وها هو الأستاذ الأديب مصطفى صادق الرافعي يصف حال كثير من شبابنا، فيقول: (يقولون: إن في شباب العرب شيخوخة الهمم والعزائم؛ فالشبَّان يمتدُّون في حياة الأمم، وهم ينكمشون. وإنَّ اللهو قد خفَّ بهم حتى ثقلت عليهم حياة الجِدِّ، فأهملوا الممكنات فرجعَت لهم كالمستحيلات. وإنَّ الهزل –اللعب والترويح والمزاح– قد هوَّن عليهم كلَّ صعبةٍ فاختصروها؛ فإذا هزءُوا بالعدو في كلمة، فكأنما هزموه في معركة، وإنَّ الشابَّ منهم يكون رجلاً تامًّا، ورجولةُ جسمه تحتجُّ على طفولة أعماله..)[(١)].

فلا بدّ من مراعاة واقع ظروف المجتمع عند توجيه النصيحة وتربية الأبناء؛ بحيث لا يكون المربي في انفصال عن واقع الأساليب والوسائل الحديثة.

وسُبُل الإفادة المعاصرة من أُسُس التربية النبوية كثيرة، أكتفي بما ذكرت خشية الإطالة. سائلا المولى سبحانه الرشاد والهداية والسلامة للأبناء والبنات.

(١) وحي القلم: أ/ مصطفى صادق الرافعي، ج٢، ص٢١٥، ط. المكتبة العصرية، بيروت (بتصرف) (بدون تاريخ).

الخاتمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، وبعد: فهذا سِفر اجتهد فيه الباحث بوضع عدد من وسائل وأساليب التربية النبوية للأولاد، مع بيان أهم سبل الإفادة العصرية للآباء والأمهات، مبتغيًا من وراء ذلك صلاح حال الأبناء والبنات، وإعداد جيل قادر على بناء وطنه والحفاظ على دينه وهويته. **ولقد خلُص البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات، وبيانها على النحو التالي:**

أولا: أهم نتائج البحث:

١. المنهج التربوي النبويّ يتضمّن جملة من المبادئ العملية واليسيرة في عملية التربية، ينبغي على المختصين البحث والدراسة في منهجه ﷺ، رغبةً في تكوين نظرية إسلامية متكاملة في التربية الناجحة.
٢. الوسائل النبوية في التربية هي عملية تطبيقية متكاملة، تسهم بشكل كبير في بناء جيل متميز من الأبناء والبنات.
٣. شمولية المنهج النبوي وواقعيّته في التعامل مع الأطفال، والقيام بتطبيقه هدفٌ وغايةٌ لتحقيق رغبات المربين في إنتاج جيل يثق بنفسه، غير مهزوز أو منهزم، جيل يعرف لماذا خُلِق؟ وما غايته في الوجود؟ بديلا عن حالة التيه والحيرة التي اتسم بها الكثير من الأبناء في زماننا.
٤. إرجاع نسبة كبيرة من المشكلات التربوية إلى غياب ثقافة التربية بين الآباء والأُمّهات، وتتبع خطواتها من خلال المناهج والدراسات المتخصصة.
٥. خطورة المرحلة العمرية الأولى من حياة الأطفال، مما يلزم معه الاهتمام الأكبر بالرعاية المعنوية لا الرعاية المادية وحدها.

ثانياً: أهم التوصيات:

١. إنشاء وحدة للإرشاد التربوي والأسريّ بجامعة الأزهر الشريف.
٢. تشجيع الأبناء على اللعب المُباح المُتاح بما يدعم مهاراتهم الذهنية والجسدية.
٣. قراءة السيرة النبوية والسنّة العطرة؛ ليؤسس المربّون من خلالها نظرياتهم التربوية؛ فهي خير نموذج يُحتَذَى به.
٤. عمل دراسات تربوية متخصصة في تعديل السلوكيات الطارئة على حياة الأبناء والبنات.
٥. قيام جميع مؤسسات المجتمع التربوية بدورها المنوط بها، من رفع واقع التربية المجتمعية عبر انتشارها وتأثيرها في المجتمع، مع وضع الحلول لعلاج كل مشكلة حسب المُتاح المُباح.
٦. ضرورة العمل على تأليف روايات تربوية إسلامية للأولاد.
٧. العمل على إنشاء مركز رصد يتبع جامعة الأزهر الشريف يهتم بتجميع أهم المشكلات التربوية ويضع لها الحلول التطبيقية مع التواصل المباشر مع الآباء والأمهات وتيسر العلاج لتلك المشكلات. **ومن خلال البحث تولّدت موضوعات أقترحها على الباحثين، منها:**

- وسائل وأساليب التعليم النشط في المنهج النبويّ.. دراسة استقرائية تحليلية.
- التربية الجمالية وأثرها في تنمية مهارات الأطفال بين السنة النبوية وعلم النفس.
- الألعاب الاليكترونية ما لها وما عليها في ميزان الإسلام.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّ اللهم وسلِّم على معلّم الناس الخير.

قائمـــــــة المراجـــــــع

أولا: القرآن الكريم (كتاب الله المجيد)

ثانياً: كتب الحديث النبوي:

١. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدالله (المُتَوَفَّى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط٣/ ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م، دار البشائر الإسلامية– بيروت.

٢. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: العِراقي (٧٢٥ – ٨٠٦ هـ)، ابن السبكى (٧٢٧ – ٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥ – ١٢٠٥ هـ)، ط١/ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م، دار العاصمة للنشر– الرياض.

٣. سنن ابن ماجه: لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (المُتَوَفَّى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط١/ ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية– بيروت.

٤. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المُتَوَفَّى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل، ط١/ ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية، بيروت.

٥. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المُتَوَفَّى: ٢٧٩هـ)، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر وآخرين، ط٢/ ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر.

٦. شُعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المُتَوَفَّى: ٤٥٨هـ)، ط١/ ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

٧. صحيح ابن حبان= الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المُتَوَفَّى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المُتَوَفَّى: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١/ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار= مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المُتَوَفَّى: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١/ ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد– الرياض.

٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المُتَوَفَّى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط. مكتبة القدسي، القاهرة: ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

١٠. المستدرك على الصحيحين: أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المُتَوَفَّى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١/ ١٤١١هـ= ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية– بيروت.

١١. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المُتَوَفَّى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط١/ ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة– بيروت. والطبعة الأولى: ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م، دار الحديث– القاهرة، بتحقيق: أحمد محمد شاكر.

١٢. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المُتَوَفَّى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ط١/ ١٩٨٨م، مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة.

ثالثاً: كتب شروح السنة النبوية:

١٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المُتَوَفَّى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، ط. مكتبة المعارف، الرياض (بدون تاريخ).

١٤. شرح النووي على صحيح مسلم= المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المُتَوَفَّى: ٦٧٦هـ)، ط٢/ ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

١٥. شرح صحيح البخاري لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك (المُتَوَفَّى: ٤٤٩هـ)، ط٢/ ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد، الرياض.

١٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

١٧. الكفاية في علم الرواية: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المُتَوَفَّى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، ط. المكتبة العلمية– المدينة المنورة.

١٨. المنهل الحديث في شرح الحديث: أ.د/موسى شاهين لاشين، ط١/ ٢٠٠٢م، دار المدار الإسلامي– مصر.

رابعاً: كتب اللغة والأدب:

١٩. ديوان اللزوميات (لزوم ما يلزم): أبو العلاء المَعَرّي، تحقيق: أمين عبدالعزيز الخانجي، ط. مكتبة الهلال– بيروت، مكتبة الخانجي– مصر (بدون تاريخ).

٢٠. صيد الخاطر: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المُتَوَفَّى: ٥٩٧هـ)، ط١/ ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م، دار القلم– دمشق.

٢١. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المُتَوَفَّى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨/ ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان.

٢٢. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، المتوفَّى ٧١١هـ، ط٣/ ١٤١٤هـ، دار صادر– بيروت.

٢٣. المستطرف في كل فن مستطرف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المُتَوَفَّى: ٨٥٢هـ)، ط١/ ١٤١٩هـ، عالم الكتب– بيروت.

٢٤. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المُتَوَفَّى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط. المكتبة العلمية– بيروت: ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م، بدون رقم الطبعة.

٢٥. وحي القلم: أ/ مصطفى صادق الرافعي، ط. المكتبة العصرية، بيروت (بتصرف) (بدون تاريخ).

خامساً: كتب التفسير والفقه:

٢٦. تفسير البيضاوي= أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المُتَوَفَّى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ط١/ ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

٢٧. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المُتَوَفَّى: ٦٠٦هـ)، ط٣/ ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المُتَوَفَّى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١/ ١٤١٢هـ، دار القلم، الدار الشامية– دمشق، بيروت.

٢٩. المغني لابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المُتَوَفَّى: ٦٢٠هـ)، ط: ١٣٨٨هـ، مكتبة القاهرة.

سادساً: كتب الأعلام والسير والتاريخ:

٣٠. الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المُتَوَفَّى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلى محمد معوض، ط١/ ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية– بيروت.

٣١. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المُتَوَفَّى: ٧٧٤هـ)، ط. دار الفكر: ١٤٠٧هـ= ١٩٨٦م.

٣٢. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المُتَوَفَّى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشّار عواد معروف، ط١/ ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان.

٣٣. دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ: أ.د/ محمد رواس قلعه جي، ط١/ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان.

٣٤. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي (المُتَوَفَّى: ٥٨١هـ)، ط١/ ١٤١٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٥. سراج الملوك: أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفِهْرِيّ الطُّرْطُوشِيّ المَالِكِيّ (المُتَوَفَّى: ٥٢٠هـ)، ط: ١٢٨٩هـ= ١٨٧٢م، من أوائل المطبوعات العربية– مصر.

٣٦. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المُتَوَفَّى : ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط٣/ ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

السيرة النبوية لابن هشام: عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المُتَوَفَّى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخران، ط٢/ ١٣٧٥هـ= ١٩٥٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣٨. الطبقات الكبرى: أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المُتَوَفَّى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١/ ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية- بيروت.

٣٩. فقه السيرة: محمد الغزالي السقا (المُتَوَفَّى: ١٤١٦هـ)، ط١/ ١٤٢٧هـ، دار القلم- دمشق.

٤٠. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (المُتَوَفَّى: ٦٢٦هـ)، ط٢/ ١٩٩٥م، دار صادر، بيروت.

٤١. المغازي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبدالله، الواقدي (المُتَوَفَّى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣/ ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م، دار الأعلمي، بيروت.

٤٢. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، ط٤/ ١٤٢٠هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع- السعودية.

سابعاً: كتب التربية والدعوة والسلوك:

٤٣. أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية: د. محمد محمد أبو زيد، ط١/ ١٤١٢هـ= ١٩٩١م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة- مصر.

٤٤. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المُتَوَفَّى: ٥٠٥هـ)، ط. دار المعرفة- بيروت (بدون تاريخ).

٤٥. أصول التربية الإسلامية: سعيد إسماعيل علي، ط. دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة: ١٩٨٧م.

٤٦. أصول التربية في الإسلام: مفاهيمها وقواعدها: أحمد عصام فوزي الصفدي، نشر الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، الرياض: ١٩٩٢م.

٤٧. بناء الأجيال: د. عبدالكريم بكار، سلسلة كتاب البيان، ط١/ ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م، مجلة البيان، السعودية.

٤٨. تحفة المودود بأحكام المولود: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المُتَوَفَّى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ط١/ ١٣٩١هـ= ١٩٧١م، مكتبة دار البيان– دمشق.

٤٩. التربية الأخلاقية الإسلامية: د. مقداد يالجن، ط١/ مكتبة الخانجي– مصر.

٥٠. التربية النبوية: د. محمد بن عبدالله الدويش، ط١/ ١٤٣٧هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية– الرياض.

٥١. تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية: أ.د ماجد عرسان الكيلاني، ط٢/ ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.

٥٢. تفسير السلوك المشكل عند الأطفال من المنظور الإسلامي: عبدالعزيز محمد النغميش، بحث بمجلة التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد (٧٠) مارس: ١٩٩٨م.

٥٣. تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته: د. زكريا الشربيني، ود. يسرية صادق، ط. دار الفكر العربي– مصر: ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

٥٤. التواصل الأسري (كيف نحمي أسرنا من التفكك): أ.د/ عبدالكريم بكّار، ط٣/ ١٤٣٢هـ= ٢٠١١م، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، ومؤسسة الإسلام اليوم، الرياض– السعودية.

٥٥. التوجيه والإرشاد النفسي: د. حامد عبدالسلام زهران، ط٣/ عالم الكتب– مصر (بدون تاريخ).

٥٦. جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي (المُتَوَفَّى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط١/ ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

٥٧. الدعوة الإسلامية في عهدها المدني (مناهجها وغاياتها): أ.د/ رؤف شلبي، ط١/ ١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م، دار الآثار للنشر والتوزيع، مصر.

٥٨. علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة): د. حامد عبدالسلام زهران، ط٥/ ١٩٩٠م، عالم الكتب، القاهرة.

٥٩. فاعلية برنامج مقترح قائم على توظيف الوسائل والألعاب التعليمية البسيطة في تنمية المهارات الحياتية لدى أطفال مرحلة ما قبل المدرسة: يحيى لطفي نجم، ومحمد المقدم، مجلة التربية، كلية التربية بجامعة الأزهر، العدد (٩٥)، ديسمبر ٢٠٠٠م،

٦٠. فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف: عبدالجواد سيد بكر، ط. دار الفكر العربي– القاهرة: ١٩٨٠م.

٦١. فن وأساليب تربية ومعاملة الأبناء الأطفال والمراهقين: أ.د سناء محمد سليمان، ط١/ ٢٠٠٩م، عالم الكتب– مصر.

٦٢. في الفكر التربوي الإسلامي: لطفي بركات أحمد، ط١/ ١٩٨٢م، دار المريخ– الرياض.

٦٣. القواعد العشر (أهم القواعد في تربية الأبناء): د. عبدالكريم بكار، ط٤/ ١٤٣٢هـ= ٢٠١١م، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض– السعودية.

٦٤. كتاب الفوائد (الغيلانيات): أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن عبدوَيْه البغدادي الشافعي البزَّاز (المُتَوَفَّى: ٣٥٤هـ)، حققه: حلمي كامل أسعد عبدالهادي، ط١/ ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م، دار ابن الجوزي- السعودية.

٦٥. معجزة الإسلام التربوية: محمد أحمد السيد، ط٢/ ١٩٨٢م، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع- الكويت.

٦٦. نحو تربية إسلامية: حسن الشرقاوي، ط. مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية: ١٩٨٣م.

ثامناً: موقع على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت):

٦٧. بشرى حياة: على الموقع الاليكتروني، من خلال الرابط https://bushra.annabaa.org/education/٢٢١٠ في يوم الأحد ٢٠٢٠/٣/٢٢م.

❁❁❁

الفهـــــرس

Contents

ملخص البحث: ١٢٢
مُقدِّمـــــة ١٢٦
..... ١٣٢
النقطة الأولى: ١٣٣
تحديد أهمّ المصطلحات الواردة في البحث ١٣٣
النقطة الثانية: ١٣٩
الحاجة إلى هدي النبيّ محمد ﷺ في التربية ١٣٩
المبحث الأول: ١٤٣
مِن خصائص المُرَبّي صلوات الله وسلامه عليه ١٤٣
أولاً: الأخذ بالأسباب وتعليم الآباء والأمهات ١٤٤
ثانيًا: أبوّته ﷺ الحانية: ١٤٦
ثالثًا: مرافقة العلم للتربية:: ١٤٦
رابعًا: الشمول والتوازن: ١٤٨
خامسًا: الصبر على الأولاد والمُتعلِّمين: ١٤٨
سادسًا: مشاركة الأولاد مهاراتهم: ١٤٩
سابعًا: الحكمة في التربية والتوجيه: ١٥١
ثامنًا: استخدامه التشويق صلوات الله وسلامه عليه: ١٥٢
تاسعًا: بعْث الطمأنينة والثقة في نفس المُرَبّي؛ كجزء من التشجيع: ١٥٣
عاشرًا: انتقاء الكلمات واللمسات التربوية الطيبة: ١٥٣
حادي عشر: القدوة والسلوك والنموذج التطبيقي: ١٥٥
المبحث الثاني: ١٥٩
صفات المربي الناجع من خلال التربية النبوية للأولاد ١٥٩
أولا: الوعْي بعِظَم مسؤولية التربية قبل السعي في مراحلها ١٦٠
عن أولاده ورعيته، فإذا أهملَ عُوقِب.. ..... ١٦٠
عدم رؤيته لنموذج تربويّ ناجح. ١٦١

ثانيًا: الرفق والحلم لا العنف والتسلّط: ١٦١
ثالثًا: الرحمة واللين لا القسوة والشدّة: ١٦٢
رابعًا: الثبات الانفعالي لا التهوّر والاندفاع: ١٦٣
خامسًا: التدرّج في التغيير لا العَجَلَة: ١٦٣
سادسًا: الحزم المنضبط المُتوازن: ١٦٤
سابعًا: الالتزام بالصدق دائمًا: ١٦٥
ثامنًا: التحلي بالتواضع الحكيم: ١٦٦
تاسعًا: زرع الثقة بين المُرَبِّي والمُرَبَّى: ١٦٧
المبحث الثالث: ١٧٠
أسس وأساليب المنهج النبوي في تربية الأولاد ١٧٠
المطلب الأول: ١٧٠
أسس المنهج التربوي للنبي ﷺ ١٧٠
التربية على ممارسة الزاد التعبّدي والدّعويّ ١٧٤
ثانيًا: الأسس النفسية والوجدانية ١٨١
منح الثقة للأولاد والصبيان ١٨٤
التشجيع والتحفيز الذاتي ١٨٨
التوازن في علاج أخطاء الأبناء ١٩١
مراعاة النفسية والاحتياجات العاطفية للأبناء ١٩٥
استخدام رسائل التأنيس والطمأنينة ١٩٧
مراعاة الفروق الفردية بين الأبناء ٢٠٣
العـــدل والمســـاواة بين الأبنـــــاء ٢٠٦
تنمية الروح الاجتماعية ٢٠٩
الابتعاد عن مدمرات العملية التربوية ٢١٢
التربية الجسمية والصحية للأولاد ٢١٩
رابعًا: الأسس الفكرية والإبداعية ٢٢٢
التربية على التميز والاستقلالية ٢٢٢
التربية الإبداعية للأولاد وتشجيعهم على الابتكار ٢٢٦
المطلب الثاني: ٢٢٨
أساليب النبيّ ﷺ في التربية ٢٢٨

الأسلوب الأول: ٢٢٩
التربية بالموعظة الحانية والحوار الإيجابي ٢٢٩
الأسلوب الثاني: ٢٣٣
التربية بالقدوة الصالحة والسّمت الصالح ٢٣٣
الأسلوب الثالث: ٢٣٦
التربية بالإرداف() والمصاحبة للأولاد في الترحال والأعمال..... ٢٣٦
الأسلوب الرابع: ٢٣٩
التربية بالقصة والحكاية ٢٣٩
الأسلوب الخامس: ٢٤٠
التَّصَابي واللعِب مع الأولاد ٢٤٠
المبحث الرابع: ٢٤٦
سُبُل الإفادة من هدي النبيّ ﷺ في تربية الأبناء ٢٤٦
الخاتمـــة ٢٥١
أولا: أهم نتائج البحث: ٢٥١
ثانيًا: أهم التوصيات: ٢٥٢
الفهـــرس ٢٦٢